

عالمية



روايات

خيال الظل

L'OMBRE CHINOISE



عالمية

روايات عالمية

العدد رقم ٤١٣

خيال الظن

تأليف : جورج سيمينون

ترجمة : حمادة ابراهيم

خيال الظل

كانت الساعة العاشرة مساء . وكانت أبواب الحديقة الصغيرة مغلقة وسط ميدان « الفوج » الخالي ، وثمة آثار تلمع خطتها العربات فوق الأسفلت ، وغناء النافورات الدائم ، وأشجار بلاأوراق ، ومقاطع أسطح متشابهة كلها ، تتكرر على منوال واحد على صفحة السماء .

وتحت أعمدة النور ، التي تشكل اطارا عجيبا حول الميدان ، قدر ضئيل من الضوء . وثلاثة حوانيت أو أربعة . ولمح ميجريه ، مفتش المباحث أسرة تتناول طعامها داخل حانوت - من تلك الحوانيت - تكدست فيه أكاليل الموتى المرصعة باللؤلؤ .

كان يحاول قراءة الأرقام الموجودة أعلى الأبواب ، ولكنه ما كان يتعدى حانوت الأكاليل حتى خرج عليه من وسط الظلمة انسان ضئيل :

- أنت الذي اتصلت بك تليفونيا منذ قليل ؟

لابد وأنها ظلت تترقب فترة طويلة . وعلى الرغم من برد نوفمبر ، فانها لم ترتد معظفا فوق مئزرها . كان أنفها أحمر ، وعيناها قلقتين .

وعلى بعد لا يبلغ المائة متر ، عند منعطف شارع بثار ، يقوم أحد رجال الشرطة بالحراسة في زيه الرسمي .

- ألم تخطريه ؟

قالها ميجريه متمتما :

- كلا ! . بسبب مدام سان مارك ، التي توشك على الوضع . . . أنظر ! ها هي ذى عربة الطبيب ، الذي استدعى على عجل . . .

وكانت هناك ثلاث عربات عند حافة طوار الشارع ، مصابيحها
الأمامية مضاءة ، وكذلك نورها الخلفى الأحمر . أما السماء ، حيث
كانت بعض السحب تمر على أغوار يغمرها ضوء القمر ، فقد كان
يلوح عليها شحوب غامض . فكان الناظر يظن أن تباشير الجليد
بسبيلها الى السقوط .

كانت الحارسة قابعة تحت قبو العمارة ، الذى يضيئه مصباح
توته خمس وعشرون شمعة ، دكن لونه من أثر التراب .
- سأشرح لك . . هنا ، الفناء . . يجب على المرء أن يجتازه
لكى يصل الى أى مكان فى البيت ، ما عدا الحانوتين . . وهذا
مسكنى ، الى اليسار . . لاتلق بالا . . لم يكن لدى وقت لكى أضع
الأولاد فى السرير . .

كانا طفلين ، ولدا وبنثا ، داخل مطبخ غير منظم . لكن الحارسة
لم تدخل . كانت تشير الى مبنى شاهق ، متناسق يقوم فى آخر
الفناء الرحيب .

- هناك . . ستفهم حالا . .

كان ميجريه يتأمل بفضول هذه المرأة الضئيلة الغريبة التى
كانت يداها المضطربتان تكشفان عن آثار الحمى .

- مطلوب مفتش مباحث فى التليفون !

هكذا قالوا له على طوار المصوغات منذ فترة وجيزة .

لقد سمع صوتا خافتا . فكرر ثلاث مرات أو أربع مرات قائلا :

- ارفعى صوتك ! . . أنا لا أسمعك ! . .

- لا أستطيع . . اننى أتحدث من حانوت الدخان . .

وكانت رسالة متقطعة .

- يجب الحضور فورا الى رقم « ٦١ » ميدان الفوج . . أجل ! . .

اعتقد أنها جريمة . . ولكن لبت هذا لا يظل خافيا أكثر من ذلك !

وعندئذ راحت الحارسة تشير الى نوافذ الطابق الأول الكبيرة ،

وخلف الستائر كانت هناك أشباح تروح وتغدو .

- هناك . .

- الجريمة ؟

- كلا ! مدام سان مارك التى تلد .. اول ولادة لها .. انها ليست متينة البنيان .. هل تدرك ؟ ..
- وكان الفناء أشد ظلاما من ميدان الفوج . كان يضيئه مصباح واحد مثبت فى الحائط . ويتكهن المرء بوجود سلم خلف باب زجاجى ، ثم نوافذ مضيئة هنا وهناك .
- ولكن الجريمة ؟
- اليك ! فى الساعة السادسة ، انصرف العمال من عند كوشيه ..
- لحظة . ماذا تقصدين بـ « من عند كوشيه » ؟
- من المبانى التى بالداخل .. معمل تحضر به الامصال ..
- لا بد أنك تعرف .. أمصال الطبيب رفيير .
- هذه النافذة المضيئة ؟
- انتظر ! نحن فى الثلاثين من الشهر .. وعلى ذلك ، فقد كان السيد كوشيه موجودا .. فمن عادته أن يبقى بمفرده بعد غلق المكاتب .. لقد رأيتة خلال الزجاج ، جالسا فى كرسيه الموسد .. أنظر ..
- نافذة من الزجاج الحشن ، وشبح غريب ، كأنه لانسان منكفىء فوق مكتبه .
- أهذا هو ؟
- أجل . فى حوالى الثامنة ، عندما أفرغت وعاء القمامة ، القيت نظرة .. كان يكتب .. اننا نرى بوضوح اليد التى تمسك ريشة او قلما ..
- والجريمة فى اية ساعة ..
- لحظة ! فصعدت لكى أستفسر عن صحة مدام سان مارك .. ونظرت ثانية وعند نزولى .. كان كما هو الآن ، حتى اننى اعتقدت بأنه كان قد نام ..
- وبدأ الجزع على ميجهيه .
- وبعد ذلك بربع ساعة ..
- أجل ، كان لايزال فى نفس المكان ! انتقلى الى المهم ..

- هذا كل ما في الأمر . . . أردت أن أتأكد . . . طرقت باب
المكتب . . . لم يجب أحد ودخلت . . . كان ميتا . . . والدم منتشر
في كل مكان . . .

- لماذا لم تخبري قسم الشرطة ؟ انه على بعد خطوتين
بشارع بثار . . .

- ويحضر الجميع في الزى العسكري ! . . . ويقلبون البيت ! . . .
لقد قلت لك ان مدام سان مارك . . .

كان ميجريه يضع يديه في جيبه ، وغليونه بين أسنانه .
وراح ينظر الى نوافذ الطابق الأول ، وانتابه شعور بأن اللحظة تقترب ،
فقد زاد الاضطراب . . . وسمع صوت باب يفتح ، وخطوات أقدام على
السلم . . . وظهر في الفناء خيال جانبي طويل عريض ، فراحت
الحارسة تتمتم قائلة ، وهي على ذراع مفتش المباحث :
- السيد سان مارك . . . انه سفير قديم . . .

أما الرجل الذي لم تتضح معالم وجهه ، فقد توقف ، ثم عاد
الى المسير ، ثم توقف ثانية ، وهو لا يكف عن مراقبة نوافذ
شققه .

- لابد انهم أرسلوه الى الخارج . . . هكذا ، حالا . . . تعال . . .
حسن ! . . . هاهما والحاكى مرة أخرى ! . . . وفوق أسرة سان مارك
بالضبط ! كانت هناك في الطابق الثاني ، نافذة صغيرة ، أوداً
اضاءة . . . كانت مغلقة وثمة موسيقى حاكى يخمنها المرء أكثر مما
يسمعا .

أما الحارسة ، وكانت متأثرة ، محمرة العينين ، مضطربة
اليدين ، فقد سارت متجهة الى أقصى الفناء ، وكانت تشير الى سلم
صغير وباب منفرج .

بـ ستراه الى اليسار . . . اننى أفضل ألا أدخل .

* * *

مكتب عادى . . . أثاث فاتح اللون ، ورق جدران «سادة» .
ورجل في الأربعين من عمره ، جالس في كرسي ذي مسندين
ورأسه فوق الأوراق المتناثرة أمامه . لقد تلقى طلقاً في صميم
صدره .

وأصغى ميجريه السمع : كانت الحارسة لا تزال فى انتظاره
فى الخارج ، والسيد سان مارك لا يكف عن ذرع الفناء . ومن آن
لآخر ، تمرق فى الميدان عربة تزيد ضوضاؤها من اطباق الضمت
الذى كان يتبعها .

لم يمس مفتش المباحث شيئا . لقد تأكد فقط أن السلاح غير
موجود فى المكتب ، وبقي ثلاث دقائق او اربعا ينظر حواليه وهو
يسحب أنفاسا صغيرة من غليونه ، ثم خرج بادى الاصرار .
- ماذا ؟

كانت الحارسة لاتزال موجودة . كانت تتكلم بصوت خفيض .
- لاشيء ! لقد مات !

- لقد أرسلوا منذ برهة فى استدعاء السيد سان مارك الى
قوق . . .

كان ثمة هرج ومرج فى الشقة . أبواب تصطك . شخص ما
يجرى .
فتمتم ميجريه وهو يحك قفاه :

- انها بالغة الوهن !
- عجبا ! ولكن الأمر لا يتعلق بذلك . هل لديك فكرة عن
الشخص الذى يمكن أن يكون قد دخل المكتب ؟
- أنا ؟ . . كيف ؟

- آسف ! من مسكنك ، لا بد وأنك ترين المستأجرين وهم
يمرون .

- كنت أستطيع ! لو كان المالك ينزلنى فى مسكن مناسب
ولا يبالي بالاضاءة . . . اننى لا أكاد اسمع بعض الخطوات ، والمع
بعض الأشباح ، فى المساء . . . وهناك خطوات أتعرف عليها . . .
- ألم تلاحظى شيئا غير عادى منذ الساعة السادسة ؟

- أبدا ! لقد أتى جميع المستأجرين تقريبا وأفرغوا أوعية
قاذوراتهم . . . هنا ، الى يمين مسكنى . . . هل ترى صناديق

القمامة الثلاثة ؟ ... ليس من حقهم أن يأتوا لافراغها قبل
السابعة مساء ...

- ولم يدخل أحد من القبو ؟

- كيف تريدني أن أعرف ؟ ... يبدو أنك لا تعرف العمارة
... هناك ثمانية وعشرون مستأجرا ... بالإضافة الى شركة
لكوشيه ، حيث الذهاب والاياب الدائمان .

ويسمع وقع أقدام في الدهليز ، ويلج الى الفناء رجل يغطي
رأسه بقبعة ، وينعطف الى اليسار ، ويقترّب من أوعية القمامة ،
ويتناول صندوقا فارغا . وعلى الرغم من الظلام ، فلا بد أنه لم
ميجريه والحارسة ، لأنه مكث ثابتا لحظة ، وأخيرا بطق قائلا :

- لاشيء لي ؟

- لاشيء ، ياسيدي مارتان ...

واستعلم ميجريه قائلا :

- من يكون ؟

- السيد مارتان ، موظف في مكتب التسجيل ، يسكن مع
زوجته في الطابق الثاني .

- وأية مصادفة جعلت صندوق قمامته ؟ ...

- كلهم تقريبا يفعلون هذا عندما يريدون الخروج ... ينزلونه
عند انصرافهم ، ويستعيدونه عند رجوعهم ... هل سمعت ؟

- ماذا ؟

- يخيل لي ... كصرخة مولود جديد ... فقط لو أنهما ،
فوق ، يوقفان هذا الحاكي الملعون ! ... لاحظ أنهما يعلمان تمام
العلم أن مدام سان مارك تضع ...

وهرولت ناحية السلم الذي كان ينزله شخص ما .

- ماذا يادكتور ؟ ... ولد ؟ ...

- بنت .

ومضى الطبيب . وسمع وهو بهيئء العربية للمسير ، وينطلق .

وراح المنزل يواصل حياته اليومية • الفناء المظلم • القبو
ومصباحه الكئيب • النوافذ المضيئة وموسيقى الحاكي الغامضة •
كان الميت لا يزال في مكتبه ، وحيدا ، ورأسه فوق بعض
الرسائل المتناثرة •

وعلى حين فجأة تدوى صرخة ، في الطابق الثاني • صرخة
حاددة كأنها نداء يائس • لكن الحارسة لا تفزع لذلك ، وتنهدت
وهي تدفع باب مسكنها •

- حسنا ! المجنونة مرة أخرى ...

وصرخت بدورها ، لأن أحد ولديها كان قد هشم طبقا • وعلى
الضوء ، رأى ميجريه وجها نحيفا ، مرهقا ، وجسدا لا يبين عن
سن •

وسألت الحارسة قائلة :

- متى ستبدأ جميع الاجراءات ؟

وفى مواجهة المنزل ، كان حانوت الدخان لا يزال مفتوحا ، وبعد
دقائق أغلق ميجريه على نفسه التليفون ، وبصوت خافت ، هو
أيضا ، راح يعطى بعض التعليمات •

- نعم ... النيابة ... ٦١ ... تقريبا عند منحني شارع
التورين ...

ولتخط إدارة تحقيق الشخصية ... ألو ! ... أجل ،
سأظل في مكان الحادث ...

وخطا بضع خطوات على الطوار ، ثم ولج بطريقة آلية تحت
القبو واستقر أخيرا وسط الفناء ، عابس الوجه ، مضموم الكتفين
من أثر البرد •

وفى النوافذ ، شرعت الأنوار تخبو • وكان الميت لا يفتأ يرسم
قطوعا من خيال الظل فوق الزجاج الحشن •

وتوقفت عربة أجرة • لم تكن عربة النيابة بعد • وراحت
امرأة شابة تجتاز الفناء بخطى حثيثة ، تاركة وراءها أثرا معطرا ،
ثم دفعت باب المكتب •

وجل انيق

سلسلة كاملة من المناورات الزائفة أدت الى موقف مضحك .
اقما ان اكتشفت المرأة الجثة ، حتى عادت من فورها . وفي اطار
الباب ، لمحت شبح ميجرية الطويل . تجمع آلى للصور : القليل
من ناحية ، والقائل من ناحية أخرى .

وهي كذلك جاحظة العينين ، وجسمها منقبض على بعضنة
اليعض ، اذا بها تفتح فاها لتستفيث ، فتسقط حقيبة يدها .
ولم يكن لدى ميجرية وقت للجدال . لقد جذبها من ذراعها
واطبق بيده على فمها .

- صه! . . . انت مخطئة! . . . شرطة . . .

وخلال الفترة التي كانت تتحقق فيها من معنى هذه الكلمات،
كانت تجتهد لتخليص نفسها ، فقد كانت امرأة عصبية ، وحاولت
أن تعض ، وكالت من الخلف ضربات بكعب حذائها .

وظل حريير : انها حمالة الثوب .

واخيرا هدا كل شيء . فراح ميجرية يكرر :

- ولا صوت ! انا من الشرطة . . لا فائدة من اثاره البيت . .

كان ما يميز تلك الجريمة ، هو ذلك الصمت الغريب في مثل
هذه الحال ، ذلك الهدوء ، واولئك المستأجرون الثمانية والعشرون
الذين كانوا يواصلون حياتهم العادية حول الجثة .

واصلت المرأة من زينتها .

– هل كنت عشيقته ؟

ورمقت ميجريه بنظرة حرون ، وهي تبحث عن دبوس لتشبك بحمالتها .

– هل كان بينك وبينه موعد هذا المساء ؟

– فى الثامنة ، فى « السيليكيت » كان المفروض ان نتناول العشاء معا . ونذهب الى المسرح . . .

– ولما لم يأت فى الثامنة ، ألم تتصلى به تليفونيا ؟

– بلى ؛ وقيل لى ان الجهاز مرفوع .

كان كلاهما ينظر اليه فى نفس الوقت ، فوق المكتب . لابد وان الرجل قلبه عندما سقط الى الامام .

وترامى الى السمع وقع أقدام فى الفناء ، حيث كانت أضعف الأصوات فى ذلك المساء تتضخم وكأنها تخرج من تحت ناقوس . وراحت الحارسة تنادى وهى على عتبة الباب ، حتى لا ترى الجثة . . .

– سيدى مفتش المباحث . . انهم رجال القسم . . .

لم تكن تحبهم . لقد وصلوا أربعة أو خمسة ، دون أن يحاولوا المرور خفية .

وكان أحدهم ينتهى من سرد قصة مسلية . وسأل آخر عندما بلغ المكتب :

– اين الجثة ؟

ولما كان مفتش مباحث القسم غائبا ، فقد ناب عنه مساعده ، فزاد هذا من حرية ميجريه فى مواصلة ادارة العمليات .

– دع رجالك فى الخارج . اننى فى انتظار النيابة . من الأفضل ألا يرتاب المستأجرون فى شىء . . .

وبينما كان المساعد يتجول فى المكتب ، عاد والتفت الى المرأة من جديد .

– ما اسمك ؟

– نين . . نين موانار ، ولكنهم يدعوننى دائما نين . . .

- هل تعرفين كوشية منذ فترة طويلة ؟

- منذ ستة شهور تقريبا . . .

لم تكن هناك حاجة لتوجيهه أسئلة كثيرة اليها . كان يكفي تأملها . . . كانت فتاة على قدر غير قليل من الجمال لاتزال في مطلع حياتها . . . زينتها من محل محترم . غير أن طريقتها في التزين ، ومسك الحقيبة والقفاز ، والنظر الى الناس بروح عدائية كانت تكشف كلها عن « كواليس » أحد الملاحى .

- راقصة ؟

- كنت أعمل فى ملهى « الطاحونة الزرقاء » .

- والآن ؟

- معه . . .

لم تتح لها فرصة للبكاء . لقد مضى كل شيء بسرعة خارقة ولم تتكون لديها بعد فكرة واضحة عن الحقيقة .

- هل كان يعيش معك ؟

- ليس هذا بالضبط ، مادام متزوجا . . . ولكن . . .

- عنوانك ؟

- فندق بيجال . . شارع بيجال . .

ولاحظ المساعد قائلا :

- على كل ، لا يمكن الادعاء بأن هناك سرقة !

- لماذا ؟

- انظر ! ان الخزانة وراءه ! وهى ليست موصدة بالمفتاح ، ولكن ظهر القليل يحول دون فتح بابها :

اما نين ، التى أخرجت من حقيبتها منديلا صغيرا ، فقد راحت تنشق وتسد منخريها .

وفى اللحظة التالية ، تغير الجو . فرامل عربات فى الخارج . . . وقع أقدام وأصوات فى الفناء . ثم مصافحات بالأيدي ، وأسئلة ومحاورات صاخبة . كانت النيابة قد وصلت . وراح الطبيب

الشرعى يفحص الجثة . وشرع المصورون فى اعداد اجهزتهم . أما بالنسبة ليجريه ، فقد كانت لحظة بغيضة عليه قضاؤها . فبعد الجمل القليلة اللازمة ، بلغ الفناء ، ويداه فى جيبه ، واشعل غليونه واصطدم فى الظلام ، بشخص ما . انها الحارسة ، التى لم تستطع ان تزعن بترك اناس مجهولين يجولون فى البيت دون ان تشغل بالهاباعمالهم وحركاتهم .

فسألها ميجريه ، متطلفا :

— ما اسمك ؟

— مدام بورسييه . . هل سيبقى هؤلاء السادة طويلا ؟ . . انظر ! لم يعد هناك ضوء فى حجرة مدام سان مارك . . لابد وانها نامت ، المسكينة . .

ولم مفتش المباحث ، وهو يفحص البيت ، نورا آخر ، ستارا فى لون القشدة ، ومن ورائه امرأة . كانت ضئيلة نحيلة . مثل الحارسة . ولم يكن صوتها ليبلغ الاذان . غير انه لم يكن من الصعب التخمين بانها كانت فريسة غضب شديد . كانت تارة تبقى ثابتة فى صرامة ، تحديق النظر فى شخص ما لا يظهر للعيان .

وفجأة كانت تتكلم ، وتكثر من اداء الحركات ، وتتقدم بضع خطوات الى الامام .

— من تكون ؟

— مدام مارتان . . لقد رايت زوجها وهو عائد منذ قليل . . انه كما تعلم ، الذى كان يحمل وهو صاعد صندوق القمامة . . موظف مكتب التسجيل . .

— هل من عادتهما العراك ؟

— انهما لا يتعاركان . . هى فقط التى تصرخ . . اما هو فلا يجرؤ حتى على فتح فمه .

ومن وقت لآخر ، كان ميجريه يلقي نظرة خلال المكتب الذى يضم نحو عشرة اشخاص يتحركون . ودعا قاضى التحقيق الحارسة ، من عند العتية .

- من يقوم بإدارة المعمل ، بعد السيد كوشيه ؟
- الدكتور فيليب . انه لا يسكن بعيدا : فى جزيرة سان - لوى . .
- هل لديه تليفون ؟
- بالتأكيد . .

وسمع شخص يتحدث فى الجهاز . وفى الطابق العلوى ، لم يعد قطوع مدام مارتان يظهر على الستار . ومن جهة أخرى ، راح شخص غريب يهبط السلم ، ويخترق الفناء فى خطى مسترقة ، ثم يبلغ الشارع . واستطاع ميجريه أن يتعرف على قبعة السيد مارتان ومعطفه المطاط .

كان الوقت منتصف الليل . فأطفأت صاحبتنا الحاكى نورهما ولم يعد هناك ما يضىء بخلاف المكاتب ، الا حجرة استقبال عائلة سان مارك فى الطابق الأول ، حيث راح السفير القديم يتجاذب الحديث ، بصوت خفيض ، مع المولدة ، فى جو تسوده رائحة مستشفى لاطلاوة له .

وعلى الرغم من تقدم الوقت ، فقد كان السيد فيليب ، لدى وصوله ، حسن الهندام ، ذا لحية بنية مصقولة بعناية ، وكانت يداه مفلقتين فى قفاز رمادى خشن الداخلى . كان فى الأربعين من عمره تقريبا ، كان نموذجا كاملا للرجل المثقف الجاد المهذب .

ولا شك أن الخبر أدهشه ، بل أقلقه . غير أن انفعاله كان يشوبه شيء أشبه بالتحفظ ، وراح يتنهد قائلا :

- مع الحياة التى كان يعيشها . .

- أية حياة ؟

- لن اذكر السيد كوشيه بسوء . وفضلا عن ذلك ، فليس هناك سوء يمكن أن يذكر به . لقد كان سيد زمنه . .

- لحظة : هل كان السيد كوشيه يقوم بإدارة أعماله بنفسه ؟

- لا من قريب ، ولا من بعيد . هو الذى فتح لها الأسواق .

ولكن ما أن بدأت تروج ، حتى ترك لى جميع المسئوليات . لدرجة أننى كنت أظل خمسة عشر يوما دون أن أراه . أخذ مثلا ! اليوم

بالذات ، انتظرته حتى الخامسة . فهذه ليلة تسليم المرتبات . كان عليه أن يحضر لى الأموال التى يلزم دفعها غدا . حوالى ثلاثمائة ألف فرنك . وفى الخامسة ، اضطررت للانصراف وتركته له تقريراً على المكتب .

ووجد التقرير مكتوباً، على الآلة الكاتبة ، تحت يد القليل . تقرير عادى : اقتراح بزيادة عامل وفصل أحد الموزعين ، ومشروع للإعلان فى بلدان أمريكا اللاتينية ، الخ . . .
فسأل ميجريه :

– وعلى هذا فالثلاثمائة ألف فرنك ينبغي أن تكون هنا ؟

– فى الخزانة . والدليل على ذلك ، أن السيد كوشيه فتحها .
أقنحنا الاثنان ، هو وأنا ، نملك المفتاح والسر . . .

ولكن . لكى تفتح الخزانة ، كان لابد من رفع الجثة فانتظروا حتى تنتهى مهمة المصورين . وكتب الطبيب الشرعى تقريره . لقد أصيب السيد كوشيه برصاصة فى صدره ، ولما كان الشريان الأورطى قد قطع ، كانت الميتة صاعقة . ويمكن تقدير المسافة بين القاتل والضحية بثلاثة أمتار . وأخيراً ، كانت الرصاصة من العيار الأكثر شيوعاً ٦ م ٣٥٠

وراح السيد فيليب يدلى للقاضى ببعض الايضاحات .

– اننا لا نملك ، فى ميدان الفوج ، غير المعامل التى تقع خلف هذا المكتب .

وفتح أحد الأبواب ، فظهرت حجرة كبيرة سقفها من زجاج ، صفت فيها آلاف من أنابيب الاختبار . وخلف باب آخر ، اعتقد ميجريه أنه سمع ضوضاء .

– ماذا هناك ؟

– موضوعات الاختبار . . . والى اليمين ، مكاتب الكتبة والموظفين ولنا فى « بانتان » محلات أخرى ، نصدر منها الجزء الأكبر من إنتاجنا ، فأنت تعلم طبعاً أن أمصال الدكتور رفير معروفة فى العالم كله .

– اهو الذى فتح لها الأسواق ؟

- أجل! لم يكن الدكتور ربيعير ليملك المال . فقام كوشيه بتمويل
أبحاثه . ومنذ عشر سنوات ، أسس معملا لم تكن له أهمية هذا
المعمل الذى تراه . . .

- ولا يزال الدكتور ربيعير فى العمل ؟

- لقد لقي مصرعه منذ خمس سنوات ، فى حادث سيارة .
وأخيرا رفعت جثة كوشيه ، وما أن فتح باب الخزانة ، حتى
سمعت صيحات التعجب . فكل الأموال التى كانت تحويها قد
اختفت . ولم يبق غير بعض الأوراق الخاصة بالعمل .

وراح السيد فيليب يشرح الأمر :

- ليس فقط الثلاثمائة ألف فرنك التى أحضرها السيد كوشيه
بالتأكيد ، بل كذلك ستون ألفا من الفرنكات أودعت عصر اليوم ،
وضعتها أنا بنفسى فى هذه الخزانة بعد أن أحطتها بحلقة من
المطاط !

لم يوجد شيء فى حافظة القليل : أو بالأصح ، وجدت تذكرتان
مرقمتان لمسرح المادلين ، أثارت رؤيتهما نحيب « نين »

- انهما لنا . . . كان من المفروض أن نذهب الى المسرح سويا .
كانت هذه هى النهاية . فقد زادت الفوضى ، وراح المصورون
يطوون أوراق اجهزتهم الكثيرة . وراح الطبيب الشرعى بغسل يديه
من صنبور اكتشفه فى صندوق مثبت فى حائط ، وأبدى كاتب
قاضى التحقيق تعبه .

ومع ذلك ، فعلى الرغم من هذا الاضطراب ، فقد استطاع
ميجريه أن يختلى بالقتيل على نحو ما ، لمدة لحظات .

كان رجلا قويا ، أميل الى القصر ، ممتلىء الجسم ، وكما هو
حال نين ، لم يكن يخلو من نوع من الابتذال ، وعلى الرغم من ملابس
بديعة التفصيل ، وإظافره المدرمة ، وقميصه الحريري الفصلى .

أما شعره الأشقر فقد أصبح نادرا . ويبدو أن عينيه كانت
ترقاوين ولهما تعبير صيائى بعض الشيء .

وتنهده خلفه صوت يقول :

- رجل اتيق !

كان هذا صوت « نين » التى كانت تبكى حزنا وتستههد
بميجريه ، لعدم اجترائها التحدث الى رجال النيابة الرسميين .
- أقسم لك انه كان نموذجا للرجل الاثيق . . كان بمجرد أن
يشعر أن هناك شيئا ما يمكن أن يدخل السرور على قلبى . . ليس
أنا فقط ! . . أى شخص ! . . لم أر فى حياتى انسانا يهب حلوانا
مثله . . لدرجة اننى كنت الومه . . كنت أقول له ان الناس يعتبرونه
غرا . .

عندئذ كان يجيبنى

- وما اهمية ذلك ؟ . .

وسأل مفتش المباحث جادا :

- هل كان مرحا ؟

- أميل الى المرح . . ولكنه فى الواقع لم يكن مرحا . . هل تفهم ؟
هذا امر يصعب شرحه . . كان يشعر بحاجة الى الحركة ، والى القيام
بعمل ما . . اذا مكث هادئا ، تجهم أو انتابه القلق . .
- وزوجته ؟

- رأيتها مرة ، من بعيد . . لا أستطيع أن اذكرها بسوء . .

- أين يسكن كوشيه ؟

- شارع هوسمان . . ولكن فى اغلب الأحيان ، كان يذهب الى

مولان ، حيث يملك فيلا هناك . .

وأدار ميغريه راسه بسرعة ، فرأى الحارسة لاتجرؤ على الدخول

وتومىء له باشارات وقد بدأ وجهها أكثر بؤسا .

- أرايت : انه نازل . .

- من ؟

- السيد سان - مارك . . لا بد وأنه سمع الضوضاء كلها . .

هاهو ذا . . يوم كهذا ! تصور . .

وبدا السفير القديم فى خبة البيت ، كان يتردد فى التقدم

لقد تبين مداهمة النيابة . . ومن جهة أخرى ، رأى الجثة فسوقا

النقالة ، تمر بالقرب منه ، وسأل ميغريه قائلا :

- ماهذا ؟

- رجل مقتول .. كوشيه ، صاحب الامصال ..
 وشعر مفتش المباحث بأن محدثه قد خطرت له فكرة على حين
 فجأة ، كما لو كان قد تذكر شيئا .
 – هل تعرفه ؟
 – كلا .. أقصد اننى سمعت عنه ..
 – وبعد ؟
 – لاشيء ! لا اعرف شيئا .. متى .. ال
 – الجريمة لا بد وانها وقعت بين الثامنة والتاسعة ..
 وتنهد السيد سان مارك ، وسوى شعره المفضض ، واوما
 برأسه لميجريه ، ثم اتجه نحو السلم الذى يؤدى الى شقته .
 كانت الحارسة قد انتحت جانبا . ثم انضمت الى شخص ما
 كان يروح ويجىء مائلا الى الامام ، تحت القبو . وعندما عادت الى
 مفتش المباحث ، سألها قائلا :
 – من هذا ؟
 – السيد مارتان .. انه يبحث عن فردة « قفاز ضاعت منه .. »
 ينبغى ان أقول لك انه لا يخرج ابدا بدون قفاز ، حتى ولو كان ذلك
 لشراء سجائر من مسافة خمسين مترا من هنا .
 أما السيد مارتان فكان يدور حول صناديق القمامة ، مشعلا
 بعض الجذوات ، وأخيرا سلم بالصعود الى مسكنه من جديد .
 وفى الفناء ، تصافحت أيدي . وانصرف رجال النيابة . وتبادل
 قاضى التحقيق حديثا قصيرا مع ميجريه .
 – سأنركك تتصرف .. وطبعما ستحيطنى علما ..
 أما السيد فيليب ، وهو دقيق لا يزال ، كصورة على الطراز
 الحديث ، فقد انحنى امام مفتش المباحث قائلا :
 – ألم تعد فى حاجة الى ؟
 – سأراك غدا .. اظن أنك ستكون فى مكتبك ؟ ..
 – كالعادة .. فى التاسعة تماما .
 وفجأة حلت لحظة مؤثرة ، مع أنها لم تقسم بأدنى حدث . كان

الفناء لا يزال غارقاً في الظلام . مصباح واحد ، ثم القبو بمصباحه
المعفر .

وفي الخارج ، تتحرك العربات ، ثم تسعى فوق الاسفلت
تكشف لحظة أشجار ميدان الفوج بمصابيحها الشديدة .

لم يعد القليل موجوداً ، كان المكتب يبدو وكأنه قد نهب نهياً
لم يفكر أحد في اطفاء الأنوار وكان العمل مضيئاً كان هناك عمال
اليليا شديداً .

وهكذا تجمع ، وسط الفناء ، ثلاثة أشخاص يتباينون فيما
بينهم ، لم يكن أحدهم يعرف الآخرين قبل ذلك بساعة واحدة
ومع ذلك ، فقد يبدو أن صلات غامضة قد جمعتهم .

بل أكثر من ذلك : كانوا كأفراد عائلة بقوا وحيدين ، بعد
انقراض الجنازة ، عندما انصرف من لا يهمهم الأمر !

لم يكن الا شعور خفي من جانب ميغريه هو الذي جعله يقول
بينما كان يتأمل وجه نين حلو القسمات تارة ، وملامح الحارس
الشاحبة تارة أخرى :

- هل وضعت ولديك في السرير ؟

- أجل ... ولكنهما لم يناما ... انهما قلقان ... يبدو
أنهما يشعران ...

وكانت مدام بورسيمييه تريد أن تسأل سؤالاً يكاد ينجسها
ولكنه كان سؤالاً هاماً بالنسبة لها .

- هل تعتقد ...

وجالت نظرتها خلال الفناء ، وبدأ أنها تتوقف عند جميع
النوافذ المطفأة .

- ... أنه ... أنه شخص من المنزل ؟

وهي الآن تحقق النظر في القبو ، ذلك الرواق الذي لا ينقل
بإبه مفتوحاً ، الا بعد الحادية عشرة مساءً ، والذي يصل بين الفناء
والشارع ، ويسمح بدخول العمارة لكل مجهول من الخارج .

أما نين ، فقد كانت تتخذ وضعا ممضا ، ومن آن لآخر كانت تسترق النظر الى مفتش المباحث .

- ان التحقيق سييجيب عن سؤالك ، يامدام بورسييه .
أما الآن ، فهناك شيء يبدو أكيدا ، وهو أن الذي سرق الثلاثمائة ألف فرنك ليس هو نفسه الذي قتل . . . هذا جاز على الأقل ، مادام السيد كوشيه يسد الحزانة بظهره . . . وبالمناسبة ، هل كان هناك ضوء في المعمل هذا المساء ؟

- انتظر ! . . . أجل ، أعتقد ذلك . . . ولكن ليس مثل الآن . . . فلا بد أن السيد كوشيه قد أضاء مصباحا أو اثنين لكي يذهب الى الأحواض ، التي توجد بين الحجرات .

وانتقل ميجريه ليطفىء الأنوار كلها ، بينما كانت الحارسة لاتزال على العتبة ، مع أن الجثة لم تكن موجودة . وفي الفناء ، وجد مفتش المباحث « نين » التي كانت في انتظاره .

وسمع صوتا في مكان ما فوق رأسه ، صوت شيء يحتك بزجاج .

ولكن النوافذ كلها كانت مغلقة ، والأنوار كلها كانت مطفأة . شخص ما تحرك ، شخص ما كان يسهر في ظلام احدي الحجرات .

- الى الغد يامدام بورسييه . . . ساكون هنا قبل فتح المكاتب . . .

- سأتبعك ! يجب أن أغلق البوابة . . .

وعلى طوار الشارع ، نوهت « نين » قائلة :

- كنت أعتقد أن عندك عربة .

ولم تحاول تركه . بل أردفت وهي تنظر الى الأرض :

- في أية جهة تسكن ؟

- على بعد خطوتين من هنا ، شارع ريتشارد لونوار .

- لم يعد هناك « مترو » ، أليس كذلك ؟

- لا اظن .

- أريد أن اصرح لك بشيء *

- اننى أنصت لك *

وظلت لا تجرؤ على النظر اليه * ومن خلفهما سمعت الحارسة
وهى توصلد الباب ، ثم سمعت خطواتها وهى فى طريقهما الى
مسكنها * لم يكن فى الميدان انسان ، وكانت النافورات تغنى *
ودقت ساعة مقر الحكومة معلنة الواحدة *

- سترى اننى أتجاوز الحد ... لست أدري ماذا ستظن بى
... قلت لك أن ريمون كان كريما للغاية ... كان لا يعرف قيمة
المال ... كان يعطينى كل ما أريد ... هل تفهم ؟ ...

- وبعد ؟ ...

- شيء مزر ... كنت اطلب اقل ما يمكن ... كنت أنتظر
أن يفكر فى الأمر ... فضلا عن ذلك ، فيما أنه كان معى دائما ،
فاننى لم أكن بحاجة الى شيء ... اليوم ، كان من المفروض أن
أتناول معه العشاء ... ايه حسنا !

- أمعدة ؟

فاعترضت قائلة :

- ليس هذا ! انه أقبح ! كنت قد نويت أن اطلب منه مالا
هذا المساء * فقد سددت فى الظهر قائمة حسابات ...
كانت تتعذب * ترقب ميجريه ، وهى على استعداد لأن
تتقهقر عند أدنى ابتسامة *

- لم أتصور أبدا أنه لن يأتى ... كان لا يزال معى قليل من
النقود فى حقيبتي ... وفى انتظاره ، بالسيليكيت ، تناولت
محادرا ثم «لانجوست» ... واتصلت بالتليفون ... وعندما وصلت
الى هنا فقط ، تبين لى أن معى مايكفى لدفع اجرة السيارة *

- وفى بيتك ؟

- اننى انزل فى فندق ...

- اننى أسأل ما اذا كان لديك بعض المال المدخر ؟؟؟

- أنا ؟

وندت عنها ضحكة عصبية .

- ولماذا أدخر ؟ هل كنت أستطيع أن أعلم الغيب ؟؟؟ حتى لو كنت أعلم فاننى ماكنت لأحب . . .

وتنهد ميجريه قائلا :

- تعالى معى حتى شارع بورماشيه . هناك فقط ستجدين سيارة فى هذه الساعة . ماذا ستفعلن ؟

- لاشئ . . . اننى . . .

ولكنها ارتعشت . فقد كانت فى الواقع لا ترتدى غير الحرير .

- ألم يكتب وصيته ؟

- وهل أستطيع أن أعرف ، أنا ؟ . . . وهل تعتقد أننا نهتم بمثل هذه الأمور ، عندما يكون كل شئ على مايرام ؟ . . . ركان وريمون رجلا أنيقا . اننى . . .

كانت تبكى وهى تسير ، دونما ضسوزاء . وناولها مفتش المباحث فى يدها ورقة من فئة المائة فرنك ، وأشار لسيارة كانت رقم ، وتمتم وهو يدس قبضتيه فى جيبه :

- الى الغد . . . قلت لى فندق بيجال ؟ . . .

وعندما رقد فى فراشه ، لم تستيقظ زوجتيه الا لتغمغم وهى لا تعى تماما :

- هل تناولت عشاءك ؟

(٢)

ثنائي بيجال

عندما كان ميجرية يغادر منزله ، في حوالي الثامنة صباحا ،
كان عليه أن يختار بين ثلاثة مساع ، يجب أن يقوم بها جميعا في
ذلك اليوم :

وهي زيارة محلات ميدان الفوج واستجواب العمال ، وزيارة
مدام كوشيه التي أحيطت علما بالأحداث عن طريق شرطة القسم ،
وأخيرا استجواب « نين » من جديد .

وما أن استيقظ من نومه ، حتى اتصل بالشرطة الجنائية وقرأ
عليها قائمة بأسماء مستأجري المنزل ، وكل الأشخاص الذين
يتصلون بالمأساة من قريب أو من بعيد ، وإذا مر بمكتبه ، سيجه
في انتظاره معلومات مفصلة .

وكان السوق ، في شارع ريتشارد لونوار ، يصول ويجول ،
وكان الجو من البرودة بحيث رفع مفتش المباحث ياقة معطفه
القطيفة . وكان ميدان الفوج قريبا ، ولكن لا بد للوصول إليه من
السير على الأقدام .

وعندئذ ، مر ترام متجها ناحية ميدان بيجال ، الأمر الذي
جعل ميجرية يقرر أن يبدأ بزيارة « نين » .

ومن الطبيعي أنها لم تكن قد استيقظت من نومها . وفي مكتب
الفندق عرفه ميجرية ، وأثار حضوره القلق .

— انها ليست مقحمة في قصة مزعجة ، على الأقل ؟ فتاة جد

هادئة !

- هل تستقبل أناسا كثيرين ؟

- لا أحد الا صديقتها ؟

- العجوز أم الشاب ؟

- ليس لها غير صديق واحد ، لا هو بالعجوز ولا هو بالشاب ...

وكان الفندق مريحا ، فقد كان هناك مصعد ، ونديفونات في الحجرات . وأنزل ميجريه في الطابق الثالث ، وطرق باب الشقة رقم « ٢٧ » فسمع شخصا يتحرك في سرير ، ثم صوتا يهمهم قائلا :

- ماذا هناك ؟

- افتحي بانين !

لابد وأن يدا خرجت من تحت الأغطية ، وبلغت الملاج . فدخل ميجريه في ظلال يشوبها ضوء ، ولمح وجه المراه المجدد ، ثم راح يرفع الستائر .

- كم الساعة الآن ؟

- لم تبلغ التاسعة بعد ... لا تنزعجى ...

كانت عيناها شبه مغمضتين ، بسبب الضوء الشديد . وعلى طبيعتها ، لم تكن جميلة . وكانت فوق ذلك تبدو اقرب الى الفتاة الريفية منها الى الفانية . ومرت بيدها فوق جبينها مرتين او ثلاث مرات ، وأخيرا جلست على السرير جاعلة من وصادتها متكأ لها . ثم رفعت سماعة التليفون :

- أحضروا طعام الافطار !

ثم قالت لميجريه :

- يالها من قصة ! ... الست ناقما على لاننى اقترخت نقودا منك ، مساء أمس ؟ ... انه لامر سخيف ! ... لابد لي من بيع مجوهراتى ...

- هل تملكين منها الكثير ؟

وأشارت الى خوان التزين ، وكانت عليه منفضة (طقطوقة)
بها بعض الخواتم ، وسوار ، وساعة ، تبلغ قيمة الجميع خمسة
آلاف فرنك .

وطرق باب الحجرة المجاورة ، فأصغت « نين » السمع ،
وارتسمت على وجهها ابتسامة مبهمة عندما سمعت الطرق يعاد
بالخارج فى اصرار .

فسأل ميجرية قائلاً :

- من ؟

- جيرانى ؟ لست أدري ! ولكن لو أمكن ايقاظهما فى هذه
الساعة ...

- ماذا تعنين ؟

- لا شيء ! . انهما لا يستيقظان ابدا قبل الرابعة بعد الظهر .
هل يتعاطيان المخدرات ؟

فأومات بأهدابها بالايجاب ، ولكنها عجلت وأضافت قائلة :

- أظن أنك لن تستغل ماقلته لك ، أليس كذلك ؟

وفى هذه الأثناء فتح الباب . وكذلك فتح باب حجرة « نين »
وبدت عنده خادمة تحمل صينية عليها قهوة باللبن وفتائر .

- تسمع ؟

كانت تحيط بعينيها زرقعة ، وكان قميص نومها يظهر
كتفين نحيلتين وصدر ضئيل غير ذى قوة لصبية ساء نموها ،
وبينما كانت تغمس قطع الفطير فى القهوة المزوجة باللبن ،
كانت تواصل الاصفاء ، كما لو كانت على الرغم من كل شيء .
مهتمة بما كان يدور الى جوارها .

ومع ذلك فقد قالت :

- هل ساقحم فى هذه القصة ؟ سيكون الأمر مزعجاً ، لو
تحدثوا عنى فى الصحف ! وخاصة بالنسبة لمدام كوشيه .

ولما كان الباب يدق دقات خفيفة متلاحقة ، فقد صاحت قائلة :
- ادخل !

كانت امرأة فى حوالى الثلاثين من عمرها ، متدثرة فى معطف
من الفرو فوق قميص نومها ، وكانت عارية القدمين • وأوشكت
أن تتراجع عندما لمحت ظهر ميجريه العريض ، لكنها تجاسرت
وهيمت قائلة :

- لم أكن أدري أن لديك أحدا !

وانتفض مفتش المباحث عند سماعه لهذا الصوت الرخيم •
الذى كان يبدو خارجا من فم معجن ، ورمق المرأة التى أعادت غلق
الباب ، فرأى وجهها لا لون له ، ذا أجفان منتفخة • ورننت له «نين»
بنظرة أيدت رأيه • فقد كانت هى فعلا الجارة التى تتعاطى
المخدرات •

- ماذا حدث لك ؟

- لا شيء ! روجيه لديه زائرون ••• عندئذ ••• سمحت
لنفسى •••

وجلست على الأرض بجانب السرير ، خاملة ، وتنهدت قائلة
كما فعلت « نين » :

- كم الساعة الآن ؟

فقال ميجريه :

- التاسعة ! يبدو أنك لا تحبين « الكوكابين » !

- ليس هذا بكوكابين ••• انه أتير ••• روجيه يرى أنه
أفضل وأن •••

كانت تشعر بالبرد • فقامت لتلتصق بالمدفأة ، ونظرت الى
الخارج وقالت :

- لن تلبث السماء أن تمطر •••

كل هذا كان مشوبا بانقباض ويأس • وعلى جوان التزيين •
كانت الماشطة مليئة بالشعر المقصوف • وكان جورب « نين » يرقط
على الأرض •

« اننى أزعجكما ، اليس كذلك ؟ » ولكن الأمر يبدو هاماً
أنه يتعلق بوالد روجيه ، الذى مات .
كان ميجرية ينظر الى نين فلاحظ أنها قطبت ما بين حاجبيها
قبجاة كمن مرت بخاطره فكرة . وفى نفس الوقت ، راحت المرأة
التي انتهت من كلامها منذ قليل ، ترفع يدها الى ذقنها ، وهي
تتهمهم :

« انظرى ! انظرى !

وسأل مفتش المباحث قائلاً :

« هل تعرفين والد روجيه ؟

« لست أراه على الإطلاق . . . ولكن . . . انتظر ! »

« أخبرينى اذن يا نين . . ألم يحدث لصديقك شيء ؟

فتبادل مفتش المباحث ونين نظرة .

« لماذا ؟

« لا أعرف . . . ان الأمر معقد بعض الشيء . . . لقد تذكرت
من فوري أن روجيه قال لى ذات يوم ان أباه يتردد على الفندق . . .
وكان هذا الأمر يسليه . . . غير أنه كان يفضل ألا يصادفه ، وذات
مرة عندما كان أحد الأشخاص يصعد السلم ، أسرع بدخول
الحجرة . . . ومن ثم ، يبدو أن ذلك الشخص دخل هنا . . .
وكفت « نين » عن الأكل . كانت تضيق بالصينية على ركبتيها ،
وكان وجهها يكشف عن قلقها .

« ابنه ؟ »

« قالتها بتؤدة ، ونظرها معلق باطار النافذة الزيتى . وصاحت
الأخرى :

« وعلى ذلك ! . . . وعلى ذلك ، فان صديقك هو الذى

مات . . . يبدو أن فى الأمر جريمة . . . »

فاستفسر ميجرية قائلاً :

« هل روجيه يلقب بكوشيه ؟

« روجيه كوشيه ، أجل !

فصمت ثلاثتهم مضطربين .

وبعد لحظة طويلة ، سمعت خلالها هممة صوت فى الحجارة
المجاورة ، استطرد مفتش المباحث قائلاً :

- ماذا يعمل ؟

- ماذا تقصد ؟

- ما وظيفته ؟

فقال المرأة فجأة :

- أنت من الشرطة ، اليس كذلك ؟

كانت مضطربة ، وربما أوشكت أن تلوم «نين» على أن حرقتها
فى فخ . . . فقالت نين وهى تخرج احدى ساقبيها من السريو
وتميل لتجذب جوربها :

- ان مفتش المباحث لطيف للغاية !

- كان ينبغى على ان اخمن ذلك ! . . . ولكنك كنت على علم
قبل ان . . . ان ادخل . . .

فقال ميجرية :

- اننى لم اسمع بروجيه على الاطلاق ! والآن ، تنفخ عليك
ان تزودينى ببعض المعلومات عنه . . .

- انا لا اعرف شيئاً . . . فلم يكده يمضى اسبوعان ونحن
معا . . .

- وقبل ذلك ؟

- كان بصحبة صهباء فارعة تتظاهر بأنها تعمل مدرسه
للاطفال . . .

- هل له عمل ؟

وكانت هذه الكلمة كافية لتزيد من حدة الضيق .

- لست ادري . . .

- معنى هذا انه لايقوم باى عمل . . . هل لديه نروة ؟ . . .
هل يتفق بسخاء ؟

- كلا ! اننا نأكل دائما فى مطعم محدد الأسعار ، بست
فرنكات ...

- هل يتحدث عن أبيه فى أغلب الأحيان ؟
- لم يتحدث عنه غير مرة واحدة ، كما قلت لك ...
- هل تستطيعين أن تصفى لى زائره ؟ هل سبقت لك مقابلته؟
- كلا ! انه رجل .. كيف اقول ؟ لقد ظننته محضرا ، وعندما
رجئت الى هنا اعتقدت ان الأمر كذلك وان روجيه مدين ..
- وهل هو حسن الهندام ؟

- انتظر . لقد رأيت قبعته ، ومعظفا أسمر ، وقفازا ...
كان يوجد بين الحجرتين باب اتصال يحجبه ستار ويرجع انه
مسدود . وكان فى استطاعة ميجريه أن يلصق به أذنه ويسمع
كل شىء ، غير انه كره أن يفعل ذلك امام المرأتين .
وارتدت نين ثيابها ، واكتفت ، استعاضة عن الفسيل ،
بتمرير منشفة مبللة فوق وجهها . كانت عصبية . وكانت حر كاتها
مضطربة . كان المرء يشعر ان الأحداث تفوقها ، وانها الآن تتوقع
المصائب جميعا ، وانها لاتستشعر قوة للمقاومة ، بل ولا حتى
للحالة الفهم .

أما الأخرى فكانت أكثر هدوءا ، وربما كان ذلك لأنها كانت
لا تزال تحت تأثير الأثير أو ربما لأنها كانت أكثر خبرة بمثل هذه
الأمور .

- ما أسمك ؟

- سيلين .

- هل لك مهنة ؟

- كنت اعمل مصففة شعر فى المنازل .

- مقيدة بسجل شرطة الآداب ؟

فهزت رأسها بالنفى ، دون أن تشعر بالاهانة . وكانت هناك
همهمة صوت لاتزال تصل الأذان من الجانب المجاور .
أما نين ، وكانت قد ارتدت ثوبا ، فقد كانت تتأمل الحجرة من
حولها .. وفجأة راحت تنفجر منتحبة ، وتقول وهى تتعلم :

— يا الهى ! يا الهى !

أقالت سيلين بتؤدة :

— يا لها من قصة غريبة ! وإذا كان فى الأمر جريمة حقا ؟
السيكون هناك مايزعجنا . . .

— أين كنت بالأمس فى حوالى الثامنة مساء ؟

ففكرت :

— انتظر ! . . . الثامنة . . . ايه حسن ! كنت فى «السيرانو» .

— وهل كان روجيه فى صحبتك ؟

— كلا . . . اننا لانستطيع ان نكون سويا طوال الوقت . . . لقد

التقيت به عند منتصف الليل ، فى حانوت دخان شارع فونتين .

— وهل اخبرك من أين أتى ؟

— لم أسأله شيئا . . .

ومن خلال النافذة ، كان ميجره يلعب ميدان بيجال ، وحديقته
الصفيرة ولافتات الحانات . وفجأة ، اذا به ينتصب ، ويسير ناحية
الباب .

— عليكم بانتظارى ، كلاكما ؟

وخرج ، وطرق الباب المجاور وسرعان ما أدار « أكرته » .

كان هناك رجل يرتدى المتامة ويجلس فى الكرسي الوحيد
الموسد الذى يوجد فى الحجرة . وعلى الرغم من النافذة المفتوحة
كانت رائحة الأتير المنفرة تسود الحجرة . وكان هناك رجل آخر
يسير وهو يكثر من الحركات . كان هذا هو السيد مارتان ، الذى
كان ميجره قد صادفه مرتين عشية الأمس ، فى فناء ميدان
الفوج .

— ما قد وجدت قفازك !

وكان ميجره ينظر الى يدي موظف التسجيل ، الذى غدا
بشاحبا حتى اعتقد مفتش المباحث لحظة أنه لن يلبث ان يفقد وعيه

كانت شفتاه ترتعشان . كان يحاول أن يتكلم دون أن يوفق الى ذلك .

— اننى .. اننى ..

لم يكن الشاب حليق الذقن ، كان فى لون الورق المضسوغ وكانت عيناه تحوطهما هالة حمراء وشفتاه رخويتين تكشفان عن إخوره . كان مشغولا بشرب الماء بشراهة من كوب بين أسنانه .

— هدىء من روعك ، ياسيد مارتان ! لم أكن أمل أن أقابلك هنا وبخاصة فى وقت من المفروض أن يكون مكتبك فيه مفتوحا منذ فترة طويلة .

كان يراقب الرجل الطيب من اخمص قدمه حتى أم رأسه . وكان ينبغى عليه بذل مجهود حتى لاتأخذه الشفقة به ، فقد كان المسكين يبدى ارتباكا شديدا .

ومن حدائه حتى رباط عنقه الذى يحيط بياقة من البلاستيك كان السيد مارتان يمثل النموذج الكاريكاتورى للموظف ، موظف متكلف فى نظافته وفاضل ، ذو شاربين اتقن تلميعهما ، دونما ذرة من تراب فوق ملابسه ، وربما اعتقد أن خروجه بدون قفاز امن معيب .

والآن ، انه لايلدرى كيف يتصرف حيالهما ، حيال يديه ؟ وكانت نظرته تنقب فى اركان الحجرة التى تسودها الفوضى كما لو كان يبحث فيها عن الهام .

— هل تسمح لى بسؤال ياسيد مارتان ؟ منذ متى وانت تعرف روجيه كوشيه ؟

لم يكن الرعب هو الذى حل . وانما كان الخيال .

— اتسا .. ؟

— أجل .. آت !

— منذ .. منذ زواجى !

كان يقول ذلك كما لو كان الأمر بديهيا لا يحتاج الى توضيح .

- لست أفهم ،
- ان روجيه هو ابن زوجتى »
- وابن ريمون كوشيه ؟
- أجل .. مادام ..
- لقد استعاد اطمئنانه .

- كانت زوجتى هى الزوجة الأولى لكوشيه .. وقد انجبت منه ابنا ، هو روجيه .. وعندما انفصلت عن زوجها ، تزوجتها أنا ..

لقد احدث هذا البيان تأثير عاصفه شديدة سريعة ازاحت سحباً من سماء . لقد تغير على اثره بيت ميدان الفوج . وتغيرت طبيعة الأحداث ، فوضحت بعض النقاط وعلى النقيض من ذلك أصبح بعضها الآخر مدعاة لبلبلة الأفكار واغلاقها أكثر من ذي قبل . حتى ان ميجريه لم يعد ليجرؤ على الكلام . كان فى حاجة الى تنظيم افكاره . كان ينقل نظره بين الرجلين بقلق متزايد ..

لقد سأله حارسة البيت ، فى نفس الليلة ، وهى تنظر الى جميع النوافذ التى تبدو للعيان من الفناء :

- هل تعتقد انه شخص من البيت ؟

وكانت نظرتها تتعلق بالقبر . كانت تأمل ان يكون القاتل قد ولج منه ، وأن يكون هذا الشخص من الخارج .

ايه كلا ! كانت المأساة محصورة فى البيت ! ولم يكن ميجريه قادراً على تحليل ذلك ، ولكنه كان واثقاً منه .

اية مأساة ؟ انه لا يدرك منها شيئاً !

كل ما هنالك ، انه كان يشعر بأن خيوطاً خفية تمتد ، وتوصل بين جهات مختلفة فى المكان ، فتخرج من ميدان الفوج الى فندق شارع بيجال هذا ، ومن شقة آل مارتان ، الى مكتب المصل التابع للدكتور زبقيير ، ومن حجرة « نين » الى حجرة ذلك الثنائى البليد تحت تأثير الأثير .

ان اكثر ما كان يثير القلق فى الموضوع ، وبما كان مشهد السيد
مارتان وهو ملقى فى هذه المتاهة كنجلة لا تعى . كانت يداه
لاتزالان مغلفتين فى القفاز ، وكان معطفه فى حد ذاته يمثل له
برنامج حياة كريمة . وكانت نظرتة قلقة تسعى الى التعلق بمكان
ما دون أن توفق الى ذلك . وراح يتلعثم قائلاً :

- جئت لأخبر روجيه ..

- أجل ..

كان ميجرية ينظر اليه فى عينيه ، نظرة هادئة عميقة ، وهو
يتكاد يتوقع لمحدثه أن يتضاءل من الكرب .

- لقد قالت لى زوجى أن من الأفضل أن نكون نحن الذين ..

- فاهم !

- ان روجيه سريع ال ..

فاكمل ميجرية قائلاً :

- سريع التأثر ، شاب عصبى !

وراح الشاب ، وكان قد بلغ كوب الماء الثالثة ، يرمقه بنظرة

بحاقدة .

كان فى الخامسة والعشرين ، غير أن ملامحه كانت قد كلت ،

وذبلت منه الجفون .

فان لا يزال جميلاً ، جمالا من شأنه أن يفتن بعض النساء .

كانت بشرته كامدة ، ولم يكن به شىء لم يصطبغ بطابع رومانسى

حتى مظهره المتعب الذى يبدو عليه شىء من الاشمئزاز .

- قل لى ياروجيه ، هل ترى والدك فى أغلب الأحيان ؟

- فى بعض الأحيان !

- أين ؟

كان ميجرية يتطلع اليه بنظرة قاسية .

- فى مكتبه .. أو فى المطعم ..

متى رأيته لآخر مرة ؟

- لا أعرف .. منذ عدة أسابيع ..
- وهل طلبت منه مالا ؟
- كما يحدث دائما !
- باختصار ، كنت تعيش على نفقته ؟
- لقد كان من الثراء بحيث ...
- لحظة ! أين كنت بالأمس فى حوالى الثامنة مساء ؟
- ولم يبد ترددا :
- فى السيليكيت .
- قالها مصحوبة بابتسامة ساخرة ، تعنى :
- لعلك تعتقد اننى لا ادرى الى أين تريد أن يودى ذلك !
- ماذا كنت تفعل فى السيليكيت ؟
- كنت فى انتظار ابى !
- اذن ، فقد كنت فى حاجة الى مال ! وكنت تعرف انه
- سيأتى الى السيليكيت ..
- انه يكون هناك كل ليلة تقريبا بصحبة عشيقته ! وفوق ذلك
- ، فقد سمعته فى العصر يتحدث فى التليفون .. لاننا نسمع مايقال
- فى الجانب المجاور ..
- وعندما وجدت أن والدك لاياتى ، ألم تخطر لك فكرة
- بالذهاب اليه فى مكتبه بميدان الفوج ؟
- كلا .. !
- والتقط ميجريه من فوق المدفأة صورة فوتوغرافية للشاب ،
- كانت تحوطها صور نسائية عديدة . ووضعها فى جيبه وهو يدمدم
- إقائلا :
- تسمع ؟
- لو كان هذا يسرك !
- وراح السيد مارتان يقول :
- الا تعتقد ؟ ...
- اننى لا اعتقد فى شيء . ان هذا يجعلنى أفكر فى توجيهه

- بعض الأسئلة اليك . ما هي العلاقات بين بيتك وبين روجيه ؟
- كان لا يأتي في أغلب الأحيان .
 - وعندما كان يأتي ؟
 - كان لا يلبث غير دقائق معدودة . . .
 - وهل أمه على علم بطبيعة حياته ؟
 - ماذا تريد أن تقول ؟
 - لا تتغابي ، ياسيد مارتان ! هل تعلم زوجك أن ابنها يعيش
أفي «مونمارتر» بدون أي عمل ؟
 - وراح الموظف ينظر الى الأرض ضيقا . وقال متنهدا :
 - لقد حاولت كثيرا أن أدفعه الى العمل !
 - وفي هذه المرة ، بدأ الشاب يدق فوق المنضدة في جزع .
 - اظنك تلاحظ أنني لازلت في المنامة وأن . . .
 - هل تسمع فتخبرني عما اذا كنت رأيت بالأمس احدا من
معارفك في «السيليكيت» .
 - رأيت نين !
 - وهل تحدثت اليها ؟
 - عفوا ! أنني لم أوجه اليها حديثا على الإطلاق !
 - وفي أي مكان كانت تجلس ؟
 - الى المائدة الثانية الى يمين « البار » .
 - أين عثرت على قفازك ، ياسيد مارتان ؟ اذا لم تخنى ذاكرتي
فلقد كنت تبحث عنه في تلك الليلة بالقرب من صناديق القمامة ،
في الفناء . . .
 - فندت عن السيد مارتان ضحكة قصيرة عسيرة .
 - كان في البيت ! . تصور أنني خرجت «بفردة» واحدة ولم
ألاحظ ذلك . . .
 - عندما غادرت ميدان الفوج ، أين ذهبت ؟
 - تنزهت . . على طول الطوار . . فقد كنت . . كنت أشعر .
بصداع . .

– هل تنزه غالبا في المساء ، بدون زوجتك ؟
– أحيانا !

كان يتعذب ، ولم يكن يدري ماذا يصنع بيديه المغلفتين في القفاز .

– وهل أنت ذاهب الآن الى مكتبك ؟
– كلا ! لقد اعتذرت بالتليفون . فانا لا أستطيع ان اترك زوجتى في ...

– ايه حسن ! اذهب اذن لتكون الى جوارها ...
ومكث ميخريه . وراح الرجل الطيب يبحث عن طريقة لائقة للاستئذان .

– الى الملتقى ، يا روجيه ..
قالها وهو يتلع لعا به ..

– اعتقد .. اعتقد ان من الأفضل ان تزور والدتك ..
ولكن روجيه اكتفى برفع كتفيه والتطلع الى ميخريه بجزع .
وسمعت ضوضاء السيد مارتان وهي تتلاشى على السلم .
كان الشاب لا يقول شيئا . وراحت يده ، بطريقة آليسة ،
تجذب زجاجة من الأثير ، كانت فوق منضدة السرير ، وتضعها بعيدا .

وسأل مفتش المباحث بتؤدة :

– اليست لديك اية تصريحات تريد الادلاء بها ؟
– كلا !

– لانه لو كان ماتريد ان تقوله ، فمن الأفضل ان تدلى به الآن على ان تدلى به فيما بعد ..

– لن يكون لدى ما اقوله لك فيما بعد .. بلى ! . هناك شيء اريد ان اقوله لك حالا : وهو انك تدس نفسك في الامور اكثر من اللازم ...

– طبعا ، مادمت لم تر والدك ، مساء أمس ، فلا بد وانك الآن بدون مال ؟

- هو ماتقول !
- واين ستجد المال ؟
- لاتشغل بالك بشائى .. ارجوك .. تسمح ؟ ..
- وراح ، يصب بعض اللى فى الطست ليفتسل .
- وبشبات ، شرع مييجريه يخطو بضع خطوات فى الحجرة ، ثم
- يخرج ، ودخل الجانب المجاور ، حيث كانت المراتان فى انتظاره .
- وفى هذه المرة كانت سيلين هى التى تبدو أكثر اضطرابا . أما
- « نين » وكانت جالسة فى الكرسى المبطن ، فقد كانت تفرض منديلا
- فى هدوء وهى تتطلع الى فراغ النافذة بعينيها الواسعين الحاملتين .
- وراحت عشيقه روجيه تسأل قائلة :
- وماذا بعد ؟ ..
- لا شىء ! تستطيعين الانصراف .
- هل والده فعلا هو الذى ؟ ..
- ثم قالت ، فجأة ، وقد تفضن جبينها :
- ولكنه عندئذ ، سيرث ؟
- وانصرفت وهى تفكر .
- وعلى طوار الشارع ، سأل مييجريه رفيقته .
- الى اين ذاهبة ؟
- فندت عنها حركة مبهمه غير مكترثة ، ثم قالت :
- انى ذاهبة الى ملهى « الطاحونة الزرقاء » لارى ما اذا كانوا
- يرغبون فى اعادتى الى العمل ..
- كان يرنو اليها باهتمام ودود .
- هل كنت تحبين كوشيه كثيرا ؟
- قلب لك ذلك بالامس : لقد كان نموذجا للرجل الانيق ..
- والمرء لا يعثر على امثاله كثيرا ، اقسام لك ! .. عندما افكر أن
- شخصا قدرا قد ..
- وسالت عبرتان ، ثم لا شىء بعد ذلك .
- هنا ! قالتها وهى تدفع بابا صغيرا خصص لدخول الفنانين .
- وكان مييجريه يشعر بالظما ، فدلج الى « بار » لسكى يتناول

قدحا من النبيذ كان عليه أن يذهب الى ميدان الفوج . الا ان رؤية جهاز التليفون جعلته يتذكر انه لم يمر بعد بطوار المصوغات ، وأنه ربما كان هناك بريد عاجل في انتظاره . فطلب خادم المكتب :

— أهذا انت يا جان ؟ .. لا شيء لى ؟ .. كيف ؟ .. سيدة تنتظر منذ ساعة ؟ .. تلبس الحداد ؟ .. اليست هي مدام كوشيه ؟ .. هيه ؟ .. حرم السيد مارتان ؟ .. انا آت ؟

حرم السيد مارتان فى زى الحداد ! وتنتظره منذ ساعة فى ردهة مركز الشرطة القضائية !

كل ما يعرفه ميجره عنها لا يعدو خيالا من الظل : ذلك الخيال الغريب الذى رآه بالأمس ، على ستار الطابق الثانى ، عندما كان يتحرك وقد راحت شفته تضربان فى تشهير شنيع .

— ان هذا يقع فى أغلب الاحيان ! كذلك قالت له حارسة البيت .

وموظف التسجيل الطيب المسكين ، الذى نسي قفازه ، وراح يتنزه بمفرده وسط ظلام الأرصفة ..

وعندما غادر ميجره الفناء ، فى الواحدة صباحا ، كانت هناك ضوضاء تصدر عن زجاج نافذة !

وصعد سلم مركز الشرطة القضائية المترب فى تودة ، وفى طريقه شد على أيدى بعض الزملاء وأنفذ رأسه من خلال باب الردهة المنفرج .

كانت هناك عشرة كراسى مبطنة باللقطيفة الخضراء ، ومنضدة اشبه بمنضدة البلياردو . على الحائط لوحة الشرف : مائتا صورة تمثل مفتشين قتلوا أثناء تأدية الخدمة . وعلى الكرسى المائل فى الصدارة ، تجلس سيدة ترتدى السواد ، متوترة للغاية ، تحمل حقيبتها فى احدى يديها وتستقر يدها الأخرى على مقبض مظلة . شفقتان دقيقتان ، ونظرة حادة تصوبها أمامها .

ولم تات حراكا عندما شعرت بأن هناك من يلاحظها .

وبهذه الملامح الجامدة ، كانت تنتظر .

(٤)

نافذة الطابق الثاني

وسبقت ميجرية بتلك الأنفة العدائية التي تسم أولئك الذين
يجدون في سخرية الآخرين شر البلايا .

- تفضلي بالجلوس ، ياسيدتى !

كان ميجرية يبدو ثقيلا ، طيبا ، عيناه مبهمتان ، عندها
استقبلها وعين لها كرسيًا ينيره مستطيل النافذة . فاستقرت فيه
متخذة نفس الوضع الذي كانت عليه في الردهة قبلًا .

وضع وقور ، بلا شك ! ووضع معركة أيضا ! لم تكن عظام
كتفيتها لتلمس المسند . وكانت يدها التي يغلفها قفاز من الحيوط
السوداء متأهبة للتحرك دون أن تدع الحقيقة التي ستأرجع في
الهواء لم يحدث ذلك .

- أظنك ، ياسيدى المفتش ، تتسائل لماذا أنا ...

- كلا !

لم تكن شراسة من جانب ميجرية أن حيرها بهذه الطريقة منذ
أول احتكاك . ولم تكن مصادقة كذلك . كان يعرف أن ذلك أمر
ضروري . واعتدل ، هو ، في كرسي المكتب . كان مطروحا إلى
الوراء ، في وضع مبتذل ، يدخن غليونه في أنفاس قصيرة شرهة .

وارتجفت مدام مارتان ، أو بالأحرى تصلب كتفها .

- ماذا تريد أن تقول ؟ اننى أظن أنك لم تكن تنتظر أن ...

- بلى !

وابتسم لها ابتسامة ساذجة • وفجأة راحت الأصابع تعلق
في القفاز الأسود المنسوج • وبنظرة حادة ، جابت الأفق وطرق
مدام مارتان الهام فقالت :

- هل تلقيت خطابا من مجهول ؟

كانت تؤكد وهي تستفسر ، وقد اتخذت مظهر الوائية مما
تقول ، الامر الذى جعل المفتش يبتسم ابتسامة عريضة ، لان هذا
ايضا كان سمة مميزة تتفق وكل ما كان يعرفه عن محدثته •

- لم أتلق خطابات من مجهول •••

فهزت رأسها متشككة •

- لا تحاول أن تقنعنى •••

كانت تخرج متدفقة حياة من سجل صور العائلة • وكانت
تناسب قدر المستطاع مع موظف التسجيل الذى تزوجته •

كان المرء لا يجد صعوبة فى أن يتخيلهما ، عصر الأحد ، وهما
يرتقيان الشانزليزيه : ظهر مدام مارتان الأسود العصبى ، وقبعتها
المنحرفة دائما بسبب الشعر المتجمع فوق رأسها ، ومشيتها العجلى
التي تنم عن امرأة نشيطة ، وحركة ذقنها التي تشير الى كلمات
قاطعة ••• والمعطف المطاط الخاص بالسيد مارتان • وقفازه
الجلدى ، وعصاه ، ومشيته المطمئنة ، الهادئة ومحاولاته فى
التسكع والتوقف أمام المعروضات •••

- هل كان لديك ملابس حداد ؟

هكذا دمدم ميجريه بكمز وهو يطلق نفخة ضخمة من الدخان •••

- لقد توفيت أختى منذ ثلاث سنوات ••• أقصد أختى المقيمة

فى « بلوا » ، التي تزوجت من مفتش مباحث ••• وهكذا ترى
••• أن

- أن ؟ •••

لاشى ! كانت تحذره ! كان الوقت مناسبا لتشعره بانها

ليست كاية امرأة !

ومن جهة أخرى ، بدت عصبية ، ذلك لأن الحديث الذي كانت قد أعدته لم يعد يجدى فتيلًا بسبب ذلك المفتش الثقيل .

- متى علمت بموت زوجك الأول ؟

- طبعًا . . . صباح اليوم ، مثل الجميع ! ان الحارسة هي التي أخبرتني أنك تتولى هذا الأمر ، ولما كان موقفي حساسًا . . . لن تستطيع أن تدرك .

- بلى ! وبالمناسبة ، ألم يقيم ابنك بزيارتك عصر أمس ؟

- بماذا تريد أن تلمح ؟

- لاشيء . مجرد سؤال .

- تستطيع الحارسة أن تخبرك بأنه لم يأت لزيارتى منذ ثلاثة أسابيع على الأقل . . .

كانت تتكلم بجفاء . فازدادت نظرتها عدوانية . ألم يخطئ ميجريه إذ لم يدعها تلقي حديثها ؟

- اننى سعيد بمسعاك لأنه يدل على رقتك و . . .

لقد غير كلمة «رقعة» وحدها شيئًا ما فى عيني المرأة الرماديتين، فأحنت رأسها تعبيرًا عن الشكر ثم قالت :

- هناك مواقف شديدة الصعوبة ! لا أحد يدرك ذلك . حتى زوجى ، الذى يشير على بعدم ارتداء الحداد ! وأنت تلاحظ أننى ارتديه دون أن ارتديه ، فلا خمار ! ولا كريب ! مجرد ملابس سوداء . . .

وراح يؤيد بذقنه ، ووضع غليونه فوق المنضدة .

- ليس لأننا منفصلان ، ولأن روجيه أشقانى ، اننى . . .

واستعادت اطمئنانها ، وراحت تقترب بلا شعور من الحديث

المعد .

- وبخاصة فى منزل كبير كهذا ، به ثمان وعشرون عائلة ! ، وأية عائلات ! انا لا أتحدث عن سكان الطابق الأول ! وزيادة على ذلك ! إذا كان السيد سان - مارك قد تلقى تربية طيبة فان زوجته

قد لا تحيي الناس نظير ذهب العالم كله ... عندما يتلقى المرء
قريبة محترمة ، فمن الصعب عليه أن ...

- هل ولدت في باريس ؟

- كان أبى بائع حلوى فى « ميرو » ...

- فى أية سن تزوجت من السيد كوشيه ؟

- كنت فى العشرين من عمرى ... لاحظ أن والدى ما كانا
ليدعانى أخدم فى المحل ... فى ذلك العصر كان كوشيه يتجول ...
كان يؤكد أنه يكسب بسخاء ، وأنه قادر على اسعاد امرأة ...
وراحت نظرتها تجمد ، وتؤكد أن ليس ثمة تهديد بالسخرية
عند ميجريه .

- أفضل ألا أقول كم قاسيت معه ! ... كل الأموال التى
كان يجمعها ، كان يفقدها فى المضاربات المزرية ... كان يدعى أنه
سيصبح غنيا ... وكان يغير مكانه ثلاث مرات فى العام ، لدرجة
أنه عندما ولد ابنى لم يكن لدينا درهم ندخره ، وكان على أمى أن
تدفع ثمن القماط ...

وأخيرا وضعت مظلتها قبالة المكتب . وتصور ميجريه أنها
ستتحدث بنفس الحدة الجافة التى كانت تتحدث بها عشية
الأمس ، عندما لمح خيال ظلها على الستار .

- إذا كان المرء لا يستطيع أن يعول امرأة ، فلا ينبغي له أن
يتزوج ! هذا هو ما أقوله ! وبخاصة إذا كان الشخص لا يتمتع
بشئ من عزة النفس . لأننى لا أكاد أستطيع أن أحصى لك جميع
المهن التى مارسها كوشيه ... كنت أطلب إليه أن يبحث عن مركز
محترم ، بمعاش مضمون ... فى الحكومة ، مثلا ! ... على الأقل ،
لو حدث له شئ ، لا أبقى أنا بلا شئ ... ولكن كلا ! لقد بلغ به
الأمر أن يتبع سباق فرنسا للدراجات لست أدري بأية صفة ...
كان هو الذى يرحل فى المقدمة ويتولى مهمة التموين أو شئ من هذا
القبيل ! وكان يعود بلا مليم واحد . هذا هو الرجل ! وهذه هى
الحياة التى عشتها ...

- أين كنتما تسكنان ؟

- فى نانو ! لأننا لم نكن نستطيع دفع ايجار مسكن فى المدينة هل عرفت كوشيه ؟ . لم يكن لييسالى بذلك ، هو ، ولم يكن ليخجل من ذلك ! ولم يكن قلقا كان يدعى أنه ولد ليبنى أموالا كثيرة وأنه سيبنئها وبعد الدراجات ، أتى دور سلاسل الساعات كلا ! انك لا تستطيع ان تتكهن سلاسل ساعات يبيئها فى أسواق عامة ياميدى ! وكانت أخواتى لا تجرؤن على الذهاب الى سوق «نوبى» خشية أن يقابلنه على هذه الحال

- هل أنت التى طلبت الانفصال ؟

وأطرقت برأسها فى حياء ، غير أن ملامحها لاتزال مشدودة .
- كان السيد مارتان يسكن نفس العمارة التى كنا نساكنها كان أكثر شبابا منه الآن وكان يتمتع بمركز محترم فى الحكومة وكان كوشيه يتركنى دائما وحييدة ليجرى وراء المغامرات أوه ! فلم يكن هناك غير حل صحيح ولائق ! وقد أبلغته لزوجى وكان طلب الانفصال باتفاق متبادل بسبب التنافر فى الطباع وكان على كوشيه أن يدفع لى فقط نفقة من أجل الطفل وانتظرنا مارتان وأنا ، عاما قبل أن نتزوج
وهنا راحت تتحرك فوق الكرسى ، وراحت أصابعها تجذب مقبض الحقيبة الفضى .

- وكما ترى ، لم يكن لى حظ على الاطلاق .

وفى البداية لم يكن كوشيه يسدد النفقة بانتظام ! ومن الصعب بالنسبة لامرأة حساسة ، أن ترى زوجها الثانى يقوم بالانفاق على طفل ليس ابنه

كلا ! لم يكن ميجريه نائما ، على الرغم من عينيه المسبلتين ، والغليون المطفأ الذى وضعه بين أسنانه .

لقد غدا الأمر أكثر كدرا فقد اغرورقت عينا المرأة وبدأت شفاتها تضطربان بطريقة تثير القلق .

- لم يكن هناك أحد غيرى يعرف أننى قاسيت ... قمت على تعليم روجيه .. أردت له أن يحصل على ثقافة محترمة .. لم يكن ليشسبه أباه ... كان عطوفا ، حساسا ... وعندما بلغ السابعة عشرة ، وجد له مارتان مكانا فى أحد البنوك لكى يتعلم مهنة ... ولكنه قابل كوشيه ، فى هذه الأثناء لا أدري أين ...

- هل اعتاد أن يطلب أموالا من أبيه ؟

- لاحظ أن كوشيه كان يرفض لى كل طلب ! كان كل شىء من أجلى غاليا للغاية . كنت أتولى حياكة أثوابى بنفسى ، وكنت أحتفظ بالقبعة ثلاث سنوات ...

- أو كان يعطى روجيه كل ما كان يطلبه ؟

- لقد أفسده ! . فقد هجرنا روجيه ليعيش وحده .. ولازال يأتينى من آن لآخر .. ولكنه كان يذهب أيضا لزيارة والده ! .

- هل تسكنان ميدان المفوج منذ فترة طويلة ؟

- منذ ثمانى سنوات تقريبا .. عندما عثرنا على الشقة ، لم تكن حتى نعلم أن كوشيه يعمل فى الأمصال ... وقد أراد مارتان أن ننتقل الى مسكن آخر .. ما كان لينقصنا غير ذلك ! .. لو كان هناك من يجب أن يرحل ، لكان كوشيه اليس كذلك ؟ .. كوشيه ، وقد أصبح ثريا بطريقة لا أعرفها ، والذي كنت أراه يصل فى عربة يقودها سائق ! .. فقد كان لديه سائق .. ورايت زوجته .

- فى بيتها ؟

- لقد ترقبتها على طول طوار الشارع ، لأتأمل شكلها .. اننى افضل الا أقول شيئا . لم تكن شيئا عظيما ، على كل حال ، على الرغم من المظاهر التى كانت تبسديها وعلى الرغم من معطفها الاسترخانى ..

فمر ميجريه بيده فوق جبينه . لقد راح الأمر يتحول الى فكرة مسيطرة ، فقد مضى ربع ساعة وهو يثبت نظره فى نفس الوجه ، ولاح له الآن انه قد لا يستطيع محوه من غشاء عينيه .

وجه رقيق ، زال عنه لونه ، ذو ملامح دقيقة ، كثيرة الحركة ،
ويبدو أنه لم يعبر في حياته الا عن ألم مستسلم .

وذكره هذا أيضا ببعض شخصيات العائلات ، بل بشخصيات
من عائلته هو . فقد كانت له عمّة ، أضخم من مدام مارتان ، لكنها
كانت هي الأخرى دائماً الشكوى . فعندما كانت تزورهم ، وهو
حينئذ طفل ، كان يدرك أنها ما أن تجلس حتى تخرج منديلا من
حقيبتها .

واستطردت مدام مارتان :

- أرمانس ، أيتها الشقية ! .. أية حياة ! ينبغي أن أقص
عليك ما فعله بيبر فوق ذلك ..

كانت لاتزال محتفظة بذلك القناع المتحرك ، وتلك الشفتين
الدقيقتين ، وتلك العينين اللتين كان يعبرهما في بعض الأحيان شيء
أشبه بضوء شارد .

وفقدت مدام مارتان خيط أفكارها فجأة . فقد كانت مضطربة .
- والآن ، يجب أن تدرك موقفي .. طبعا ، تزوج كوشيه
مرة أخرى . ولم يحل دون ذلك أنني كنت زوجته ، وأننى قاسمته
مطلع حياته ، أى أقسى سنوات عمره .. وليست الأخرى أكثر
من دمية .

- هل لك مطالب بخصوص الميراث ؟

- أنا ! ..

صرخت بهما حانقة - اننى لا أرغب في ماله على الإطلاق !
نحن لسنا أغنياء ! ومارتان يعوزه الاقدام ولا يعرف كيف يتقدم ،
ولا يتورع عن تقطيع العشب تحت أقدام زملاء له أدنى منه ذكاء ..
ولكننى أفضل أن أخدم في المنازل عن أن أرغب ..

- هل أرسلت زوجك ليخبر روجيه ؟

لم تشحب ، لأن ذلك كان أمرا مستحيلا . بل ظل لونها رماديا
على درجة واحدة . غير أن تموجا ما طرأ على نظرتها .

— كيف عرفت ؟

وأضافت فجأة وهي حائقة :

— أمل ألا يكون هناك من يراقبنا ، على الأقل ؟ اذن لطفح الكيل ! .. وفي هذه الحال لن أتردد في أن ألبأ الى السلطات العليا ..

— هددنى من روعك ، ياسيدتى .. أنا لم أقل مثل هذا الكلام .. ان المصادفة هي التي جعلتني أقابل السيد مارتان صباح اليوم ..

ولكنها ظلت متشككة ، ترمق مفتش المباحث بلا رقة .
— لسوف أندم على أننى حضرت ! .. أردت أن أتبع الطريق الصحيح وبدلا من أن تشكرنى ...

— أوكد لك أننى أشكر لك هذه الزيارة شكرا جزيلا .
ولم يغير هذا من شعورها . فهذا الرجل الضخم عريض المنكبين ، الذى يرمقها بعينين ساذجتين كلتيهما خاليتين من الأفكار ، كان يفزعها .

— على كل — نطقت بها بصوت حاد — من الأفضل ان يكون المتكلم أنا ، لا الحارسة — عندئذ ، كنت ستعلم ..
— انك أول زوجة للسيد كوشيه ..
— هل رأيت الأخرى ؟
وبذل ميجرية شيئا من الجهد حتى لا يبتسم .
— ليس بعد ..

— أوه ! لسوف تذرف دموع التماسيح .. ولا يمنع هذا أنها الآن هادئة البال .. فبالمللين التي جمعها كوشيه ..
وها هي تبكى فجأة ، وترتفع شفقتها السفلى ، الأمر الذى غير وجهها ، ونزع عنه ما كان يشده .

— انها لم تعرفه عندما كان يكافح ، عندما كان فى حاجة إلى امرأة تساعده ، وتشجعه .. ومن وقت لآخر ، كانت تنطلق ،

زفرة مكتومة ، لا تكاد تسمع ، تخرج من العنق النحيل الذى شدة /
عليه شريط من الحرير المموج •
ونهدت ، وراحت تتطلع حولها لكى تتأكد أنها لم تنس
شيئا .

- ولكن هذا كله ليس له حساب ••

وندت عنها ابتسامة مريرة ، تحت الدموع =

- على كل ، لقد أديت واجبى •• لست أدرى ماذا تظن بى •

ولكن ••

- أؤكد لك أن •••

كان سيحتار فى مواصلة حديثه لو لم تكمل هى بنفسها :

- يستوى هذا بالنسبة لى ! ان عندى ضميرى الذى يحركنى !

لا أحد يستطيع أن يذكره كما •••

كان ينقصها شىء ما • لم تكن تعرف ماذا يكون • وألقت نظرة

أخرى دائرية ، وحركت احدى يديها ، وكأنها تعجب اذ وجدتها

فارغة •

وكان ميجريه واقفا ، فأوصلها الى الباب •

- أشكر لك مسعاك ••

- لقد قمت بما اعتقدت أن من واجبى القيام به ••

وبلغت الدهليز ، حيث كان بعض المفتشين يثرثرون وهم

يضحكون • فمرت بالقرب منهم فى أنفه ، دون أن تدير رأسها •

وبعد أن أغلق الباب ، سار ميجريه ناحية النافذة التى فتحها

على سعتها ، على الرغم من البرد • كان مرهقا ، وكأنه انتهى من

تحقيق عسير مع أحد المجرمين • لقد انتابه ، بوجه خاص ، ذلك

الانحراف المزاجى الغامض الذى يشعر به المرء عندما تضطره

الظروف الى ان يطلع على بعض مظاهر من الحياة يفضل عادة أن

يكون جاهلا بها .

لم يكن أمرا محزنا • لم يكن أمرا عنيفا •

لم تقل شيئا غريبا • لم تكشف لفتش المباحث عن أى
أفق جديد •

ولم يمنع هذا أن تفضى تلك المقابلة الى شبه احساس بالتقزز •
وعلى ركن من أركان المكتب ، كانت نشرة الشرطة مفتوحة •
تعرض صوراً لنحو عشرين شخصا مطلوب البحث عنهم • وجوه
وحشية لأغلبهم • ورؤوس بها ندبات غيرت معالمها ••

- أرنست سترويتز ، محكوم عليه غيابيا أمام محكمة «كان» ،
لأنه قتل مزارعة على طريق « بينوفيل » ••

وتأشيرة بالأحمر :

- خطير • مسلح دائما •

شخص يبيع حياته غاليا •

ايه حسن ! ان ميغريه كان يفضل ذلك على هذه الصورة
الرمادية المائعة وعلى هذه القصص العائلية ، وعلى هذه الجريمة
التي لم تتضح بعد ولو أنه كان يتكهن أنا ستبيلب الأفكار •

كانت هناك صور تلاحقه : آل مارتان ، كما كان يتصورهما •
يوم الأحد ، فى الشانزليزيه • والمعطف المطاط والشريط الحريرى
الأسود حول رقبة الزوجة ••

ورن ميغريه الجرس • فظهر « جان » فأرسله ميغريه ليحضر
البيانات التي كان قد طلبها عن كل من يتصلون بالمأساة •

لم يكن فى الأمر ما يثير • لقد قبض على « نين » مرة ، مرة
واحدة ، فى « مونمارتر » على اثر مداومة قام بها رجال الشرطة •
وقد أفرج عنها بعد أن أثبتت أنها لاتعيش من الدعارة •

أما عن كوشيه الابن ، فقد ذكرته فرقة مكافحة القمار وتحديث
هند جريدة « الموندين » التي كانت تشك فى أنه ينساق فى تهريب
المخدرات • ولكن لم يثبت ضده شىء واضح •

وباتصال تليفونى بشرطة الآداب ، علم أن « سيلين » التي
تلقب بلوازو وولدت فى سان - أمون - موترون ، كانت معروفة

فى هذه المدينة • وكانت لديها بطاقتها وتأتى للزيارة بانتظام •
وقال رئيس الفرقة :

- انها ليست بالفتاة الشريرة ! انها تكتفى فى أغلب الأحيان
بصديق أو صديقين دائمين •• ولا نقابلها الا عندما تعود
الى الشارع •••

ولم يكن جان ، خادم المكتب ، قد غادر الحجرة ، فراح يوجه
نظرة ميجرية الى شىء ما قائلا :

- لقد نسيت تلك السيدة مظلتها !

- أنا عارف •••

- آه !

- أجل ، أنا فى حاجة اليها •

ونهض مفتش المباحث وهو يتنهد ، وراح يفلق النافذة ، واستقر
فى كرسيه موليا ظهره ناحية اللهب فى الوضع الذى اعتاده عندما
يكون فى حاجة الى التفكير •

وبعد ذلك بساعة ، كان فى استطاعته أن يلخص ذهنيا جميع
المذكرات التى وصلتته من الأقسام المختلفة والتى كانت تنتشر
فوق مكتبه •

أولا ، تقرير الطبيب الشرعى الذى قام بعملية التشريح •
والذى يقول بأن الرصاص أطلق على بعد ثلاثة أمتار تقريبا وان
الميته كانت صاعقة • وان معدة القتيل كان بها كمية ضئيلة من
الكحول ، ولكنها لا تحتوى على مواد غذائية •

أما مصورو تحقيق الشخصية ، الذين كانوا يقومون بأعمالهم
فى أعلى دار المحكمة ، فقد صرحوا بأنهم لم يكشفوا عن أية بصمة
تثير الانتباه •

وآخرًا أكد بنك ليون أن كوشيه ، وهو معروف لديه ، قد مر
بالمركز الرئيسى فى الثالثة والنصف تقريبا وأخذ أوراقا مالية

جديدة قيمتها ثلاثمائة ألف فرنك كما هي عادته في الليلة الأخيرة
من كل شهر .

اذن فقد أصبح من المقرر تقريبا أن كوشيه ، لدى وصوله ،
قد وضع الثلاثمائة ألف فرنك في الخزانة ، الى جانب الستة آلاف
التي توجد بها قبلا .

ولما كانت لاتزال لديه بعض الأعمال ، فانه لم يعد اغلاق
الخزانة التي أسند ظهره اليها .

وكان الضوء في المعمل يشير الى أنه غادر المكتب في وقت معين،
اما لكى يتفقد الأماكن الأخرى ، واما ، وهذا أكثر الأمرين احتمالا،
لكى يذهب الى الأحواض . فهل كانت الأموال لاتزال في الخزانة ،
عندما عاد الى مكتبه ؟

ان العقل يقول بالنفى ، لأنه في هذه الحال ، كان لابد للقاتل
من أن ينحى البجثة جانبا ، ليشد الباب الثقيل ويستولى على
الأوراق المالية .

كان هذا هو الجانب الفنى في الموضوع . قاتل - لص أم قاتل
ولص تصرفا منفردين ؟

وأمضى ميجريه عشر دقائق عند قاضى التحقيق ليبلغه بالنتائج
التي توصل اليها ولما كان النهار قد انتصف منذ قليل ، فقد عاد
الى بيته ، وقد استدارت كتفاه ، مما يدل على انحراف مزاجى .
- هل أنت الذى تقوم ببحث قضية ميدان الفوج ؟

هكذا سألته زوجته وكانت قد قرأت الجريدة .

- انه انا !

وبطريقة خاصة ، جلس ميجريه ، وراح يتطلع الى زوجته
بعنان فائض مع قدر ضئيل من القلق فى نفس الوقت .

كانت مدام مارتان لاتزال ماثلة أمام عينيه ، بوجهها الرقيق ،
وثيابها السوداء ، وعينيها الأليمتين .

وتلك الدموع التي كانت تتفجر على حين فجأة ، راحت تختفى ،
وكانها قد اتقدت بلهب داخلى ، لتعاود الظهور بعد ذلك .

ومدام كوشيه التي تملك الفراءات . . ومدام مارتن التي
لا تملك منها شيئاً . .

وكوشيه الذي يمون المشتركين في سباق فرنسا للدراجات ،
وزوجته الأولى التي كان عليها أن تحتفظ بالقبعة نفسها ثلاثة
أعوام . .

- والابن . . وقنينة الاتير ، فوق منضدة السرير في فندق
بيجال . . وسيلين التي لا تنزل الشارع إلا عندما لا يكون لديها
صديق منتظم لفترة من الزمن
ونين . . .

- يظهر عليك عدم الارتياح . . . وتبدو معتلاً . . . ويحسبك
الناظر مصاباً بالزكام .

- حقا ! فقد كان ميجريه يشعر بواخزات في منخريه ، وبما
يشبه الفراغ في رأسه .

- ما هذه المظلة التي أتيت بها ؟ انها بشعة ! . .

مظلة مدام مارتان ! السيد مارتان وزوجته ، بالمعطف والثوب
الحريري الأسود ، وهما يتريضان يوم الأحد في الشانزلييري . . .
- أبدا . . لا أعرف في أية ساعة

انها مشاعر لا يمكن تأويلها :

- كان المرء يشعر بأن هناك شيئاً غير عادي يجري في المنزل،
شيئاً يبين عن نفسه من ظاهره .

ما هذه الجلبة التي تجرى في حانوت أكاليل الموتى المرصعة
باللؤلؤ ؟ ما من شك في أن المستأجرين يساهمون معا من أجل
تقديم اكليل .

وما هذه النظرات القلقة التي يوجهها حلاق السيدات ، الذي
يطل حانوته على الناحية الأخرى من القبو ؟

على كل ، لقد كان المنزل في ذلك اليوم بادي الكآبة . ولما
كانت الساعة قد بلغت الرابعة ، وكان الليل قد شرع يهبط ، فقد

كان المصباح الضئيل الذي يبعث على السخرية قد أشعل تحت
القبر .

وفي المواجهة ، كان حارس حديقة الميدان يوصد أبوابها . وراح
لخادم آل سان - مارك ، فى الطابق الأول ، يسدل الستائر فى
تؤده ، واعيا لما يفعل .

وعندما طرق ميجرية باب المسكن ، وجد مدام بورسويه ،
الحارسة ، منهمكة فى قص الأحداث على محصل من دوفيل يعلق
فوق كسوته الزرقاء سلسلة تنتهى بصليب .

- منزل لم يحدث به شئ على الإطلاق .. صه ! .. انه مفتش
المباحث ..

كانت تبدو عليها أواصر قرابة غامضة تربطها بـ مدام مارتان ،
بمعنى انهما كانتا لا تندرجان تحت سن معينة كما انها لا تتبعان
أيا من الجنسين . وانهما كانتا بائنتين ، أو كانتا فى عداد
البائسات .

كل ما هناك أن الحارسة كانت تتسم ، الى جانب الأذعان ،
بأذعان شبه بهيمى لصيرها .

- جوجو .. ليلى .. لا تمكثا فى الطريق .. صباح الخير
يا سيدى المفتش .. كنت فى انتظارك هذا الصباح .. يالها من
قصة ! .. رأيت فى أثناء مرورى بجميع السكان أن أقوم بعمل
لكشف من أجل الاسهام فى شراء اكليل .. هل عرف متى تقام
الجنائز ؟ .. وبالمناسبة ، مدام سان مارك .. كما تعلم ! ..

أرجوك ألا تخبرها بشئ .. لقد حضر السيد سان - مارك
بصباح اليوم .. انه يشفق عليها من الانفعالات ، فى حالتها هذه ..

وفى الفناء الذى يكتنفه جو من الزرقة ، كان المصباحان ،
بمصباح القبور والمصباح المثبت فى الحائط ، يرسعان خطوطا
طويلة صفراء .

وسأل ميجرية قائلا :

- شقة مدام مارتان ؟

- بالطابق الثانى ، الباب الثالث ، الى اليسار بعد المنعطف .
وتعرف مفتش المباحث على النافذة التى كان ينبعث منها
الضوء ، ولكن لم يكن يرتسم على الستار أى خيال .
ومن ناحية المعامل ، كانت تبلغ الآذان قعقة الآلات الكاتبة .
ووصل أحد الموزعين .

- أمصال الدكتور ريفير ؟

- فى أقصى الفناء ! الباب الأيمن ! دع أختك فى حالها
يا جوجو !

وراح ميجرية يرتقى السلم ، وقد حمل تحت ابظه مظلة مدام
مارتان . وحتى الطابق الأول ، كان البت مجددا ، فقد أعيد طلاء
الجدران ، ودهنت درجات السلم .

وابتداء من الطابق الثانى ، كان هناك عالم آخر ، حوائط
قذرة ، وأرضية مبشورة . وكان يكسو الأبواب طلاء رمادى ردى .
وفوق هذه الأبواب كان المرء يرى تارة بطاقات زيارة مشبوكة ،
وتارة لوحات بارزة من الألمنيوم .

وثمة بطاقة زيارة المائة منها بثلاث فرنكات تقول :

- السيد ادجار مارتان وحرمة . والى اليمين شريط مضافور
ثلاثى اللون ، ينتهى « بشوشة » ملساء . عندما جذبها ميجرية ،
ون فى فراغ المسكن جرس صغير ثم سمعت خطوات عجلية وانطلق
صوت يسأل :

- من هناك ؟

- أنا ، أحمل اليك مظلتك !

وفتح الباب . كان المدخل لايعدو مترا مربعا ، على أحد جدرانه
مشجب يتدلى منه المعطف المطاط ، وفى المواجهة ، باب مفتوح لحجرة
تستعمل للاستقبال والطعام فى نفس الوقت ، بها آلة لاسلكى
فوق صندوق .

- آسف لازعاجك . لقد نسيت صباح اليوم هذه المظلة
فى مكتبى .

- عجيب ! وأنا التي أعتقد أنني نسيتها في « الاتوبيس » كنت أقول لمارتان ..

لم يبتسم ميغريه • كان قد ألف هذا الصنف من النساء اللاتي يدعون أزواجهن بألقابهم •

كان مارتان موجودا ، يرتدى سروالا مخططا يلبس فوقه سترة منزلية من الجوخ البنى السميك •

- تفضل ، أرجوك ..

- لا أحب أن أزعجكم •

- ليس هناك ما يزعج من ليس لديهم شيء يخفونه •

قد تكون الرائحة هي السمة الأساسية التي تميز بين المساكن • كانت رائحة هذا المسكن غير نفاذة ، يطغى عليها شمع الأرضية ، والمطبخ ، والثياب القديمة •

وفي أحد الأقفاص يقفز طائر « كناريا » ، ويقذف أحيانا بقطرة ماء الى الخارج •

- احضر الكرسي لسيادة المفتش ..

الكرسي ! لم يكن هناك سوى كرسي واحد ، كرسي طراز فولتير يكسوه جلد من القمامة بحيث يبدو أسود ..

وكانت مدام مارتان مختلفة عما كانت عليه في الصباح ، وراحت تغغم قائلة :

- فلتتناول شيئا ما .. أجل .. مارتان ! احضر قليلا من

الخمير ..

وكان مارتان ضيقا حرجا • أمن الممكن أن يكون المنزل خاليا من الشراب ؟ أمن الممكن ألا يكون به غير ثمالة في زجاجة ؟

- شكرا يا سيدتي ! أنا لا أشرب أبدا قبل الأكل •

- ولكن لديك وقتا كافيا ..

كان شيئا محزنا ! محزنا لدرجة تقنط معها أن تكون انسانا • أن تعيش على أرض تتلألا الشمس عليها ساعات عديدة كل يوم • وبها طيور حفيفية معلقة السراح !

لابد وأن هؤلاء الناس لا يحبونّ النور ، ذلك لأن المصابيح الكهربائية الثلاثة كان يحجبها بعناية قماش ملون كثيف لا ينفذ منه الا قدر ضئيل من الأشعة .

وطرق ميجريه خاطر ، فقال في نفسه ؛

- وبخاصة شمع الأرضية !

لأن هذا هو ما كان يطفى على الرائحة !

ومن جهة أخرى ، كانت المنضدة المصنوعة من الفرو الغليظ مصقولة كأرض أعدت للترحلق .

وتصنع ميجريه ابتساماً رجل يستقبل زائراً .

- انكما تتمتعان بمشهد بديع ، اذ يطل مسكنكما على ميدان الفوج ، ذلك الميدان الذي لا مثيل له في باريس !

كان ميجريه وهو يقول ذلك يعرف تماماً أن النوافذ تطل على الفناء .

- كلا ! ان أسقف شقق الواجهة في الطابق الثاني ، شديدة الانخفاض بسبب طراز الأثاث .. وأنت تعلم أن الميدان بأكمله يقع كأثر تاريخي .. ليس لنا الحق في أن نمسه .. ان هذا أمر يرثى له ! .. ها قد مرت سنوات ونحن نريد أن نقيم حماماً و ..

كان ميجريه قد اقترب من النافذة . وبحركة غير مكترثة ، وراح يزيح ستار خيالات الظل . ثم ظل ثابتاً ، متأثراً حتى أنه نسي أنه يتحدث كزائر مهذب .

وفي قبالبته كانت توجد مكاتب كوشيه ومعمله .

من أسفل ، كان قد لاحظ أن هناك نوافذ من الزجاج المعتم . ومن هنا ، لاحظ أنها لم تكن الا النوافذ السفلى ، أما الأخرى فكانت رائقة صافية ، تقوم الخادومات بتنظيفها مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع .

وفي نفس المكان الذي قتل فيه كوشيه كان السيد فيليب يظهر جلياً للعيان وهو يوقع على خطابات كتبت على الآلة السكاتية ،

تقدمها له أمينة سره ، واحداً واحداً • وكان الناظر يستطيع أن يميزاً
مغلاق الخزينة •

أما باب الاتصال بين المكتب والمعمل فكان منفرجاً •
ومن خلال نوافذ المعمل كانت تبدو نسوة في قمصان بيضاء •
مصطفات على طول منضدة كبيرة وقد انهمكن في رص الأنايب
الزجاجية •

كان لكل منهن عمل • فكانت الأولى تتناول الأنايب المكشوفة
في سلة ، وتقوم الثانية بتسليمها لأحد الموظفين ، وقد أصبحت
بحزماً كاملة التفليف والتأشير • وقصارى القول ، كانت تسلمها
بضاعة معدة لتسلم للصيديليات •

— ومع ذلك يجب أن تشرب شيئاً !
هكذا جاء صوت مدام مارتان من خلف ميجريه •
وتحرك زوجها ، وفتح خزانة في الحائط ، واصطكت الأكواب •
— لا أكثر من جرعة من « الفرموت » يا سيدي المفتش !
ربما قدمت لك مدام كوشيه « كوكتيل » ••
وندت عن مدام مارتان ابتسامة حادة ، كما لو كانت شفتاها
من الدهن •

المجنونة

وقال ميجريه والكأس في يده ، وقد رآح يتطلع الى مدام مارتان :
- آه ! لو كنت نظرت من النافذة ، مساء أمس ! لكان تحقيقى انتهى ، منذ بدايته ! لأنه من المستحيل ، ألا يرى المرء ، من هنا ،
ركل ما يجرى فى مكتب كوشيه .

عبثا كان المرء يحاول أن يجد أى مقصد فى نبرة صوته ،
أو فى هيئته . كان يرششف من كأس « الفرموت » فى يده
وهو يثرثر .

- بل ولقلت ان هذه الحادثة تمثل حالة من أغرب حالات
الشهادة من الواجهة الجنائية . اذ شاهد شخص من بعيد حادثة
القتل ! ماذا أقول ؟ ان المرء مستعينا بنظارة مقربة ، يستطيع أن
يرى شفاء المتحادثين واضحة الى الحد الذى يستطيع معه أن يستعيد
الحادثة التى دارت بينهما . .

لم تدر مدام مارتان ماذا تظن ، فاتخذت موقفا متحفظا ،
وارتسمت على شفيتها الشاحبتين ابتسامة جامدة .

- ومع ذلك فيالهول ذلك الانفعال الذى كنت ستعرضين له !
أن تكونى فى نافذتك ، هادئة ساكنة ، وعلى حين فجأة ، ترين
شخصا يهدد زوجك القديم ! ان الأمر أسوأ من ذلك ! لأن المشهد
كان لا بد وأن يكون أكثر تعقيدا . اننى أتخيل كوشيه بمفرده
تماما ، غارقا فى حساباته . . ثم ينهض ويتوجه ناحية الأحواض .

وعند عودته ، كان شخص ما قد نقب في الخزانة ، ولم يكن لديه وقت للفرار .. ومع ذلك فهناك أمر غريب ، في هذه الحالة : وهو أن كوشيه جلس ثانية .. صحيح أنه ربما كان يعرف سارقه ؟ .. وتحدث اليه .. ووجه اليه اللوم ، وطلب اليه أن يعيد المال ..

فقالت مدام مارتان :

- ولكن ، كان يجب أن أكون في النافذة !
- ربما استطاع آخرون القاء نفس النظرة من بعض النوافذ الأخرى في نفس الطابق ؟ .. من يقطن الى يمينكم ؟
- فتاتان وامهما .. أولئك اللاتي يدرن الحاكى كل مساء .
وفي تلك اللحظة دوت صرخة سبق أن سمعها ميجرية . فظل صامتا لحظة ، ثم دمدم قائلا :
- المجنونة ، اليس كذلك ؟
- صه ! ..

أصدرتها مدام مارتان ، وهي تتوجه بغطى خرسانة ناحية الباب . وفتحته فجأة . فلمحا ، على ضوء الممر الرديء ، شبح امرأة يبتعد مسرعا .
- العجوز الكريهة !

دمدت بها مدام مارتان بصوت مرتفع تستطيع أن تسمعه الأخرى . واذا عادت أعقابها ، وهي تتميز من الفيظ ، راحت تشرح الأمر للمفتش :
- انها ماتيلد العجوز ! طاهية قديمة ! هل رأيتها ؟ ان المرء ليظنها ضفدعا ضخما ! انها تسكن الحجرة المجاورة ، مع أختها المجنونة . وهما على درجة واحدة من الهرم والقبح ! ولم تفادن المجنونة حجرتها مرة واحدة منذ ان نزلنا في هذه الشقة .
- ولماذا تصرخ بهذه الطريقة ؟

- آن ! ان هذه النوبة تملكها عندما يتركونها وحيدة في الظلام . انها تخاف مثل الأطفال . انها تعوى .. ولقد انتهى بي

الأمر الى ادراك حيلهما . . . فمن الصباح الى المساء ، تظل ماتيلدا العجوز تحوم فى الممرات . . . ونحن دائما على ثقة من اننا سنجدها اقبعة خلف أحد الأبواب ، وعندما نفاجئها فى هذا الوضع ، لا تكاد تضيق لذلك . . . فتبتعد هادئة ، رابطة الجاش . . . لدرجة ان المرء لا يشعر انه فى داره ، وان عليه ان يخفض صوته ، اذا اراد أن يناقش شئون الأسرة . . . ولقد فاجأتها لتوى متلبسة ، اليس كذلك ؟ ايه حسنا ! اننى اراهن انها عادت . . .

ووافقها ميجرية قائلا :

– وضع غير لطيف ! ولكن المالك ، الا يتدخل ؟

– لقد فعل كل شيء اطردهن . . . ولكن للأسف هناك القوانين التى تحول دون ذلك . . . دون مراعاة انه مما ينافى الصحة ، ومما ، تمجه النفوس ، ان تعيش هاتان العجوزتان فى حجرة صغيرة ! . اننى اراهن انهما لا تفسلان على الاطلاق .
وتناول مفتش المباحث قبعته .

– ارجو ان تفرا لى اننى ازعجتكما . لقسد حان وقت الانصراف . . .

ومنذ تلك اللحظة ، تكونت لدى ميجرية صورة واضحة عن المسكن ، ابتداء من اغطية الاثاث ، حتى التقاويم التى تزين الجدران .

– لا تحدث ضوضاء . . . استفاجيء العجوز . . .

ولم يتحقق ذلك تماما . فلم تكن فى الممر ، ولكنها كانت خلف بابها المنفرج ، كعنكبوت ضخمة يتربص . ولا بد وانها ارتبكت عندما لمحت المفتش يوجه اليها تحية رقيقة عند عبوره .

فى وقت تناوه المشهيات ، كان ميجرية جالسا فى «السيليكنت» ليس بعيدا عن البار الأمريكى حيث لا حديث الا عن المسباق . . . وعندما اقترب منه التائل ، عرض عليه صورة روجيه كوشيه الذى كان قد اخذها فى الصباح من فندق شارع بيغال .

- هل تعرف هذا الشاب ؟

فدهش النادل وقال :

- غريب . . .

- ما الغريب ؟

- لقد انصرف منذ أقل من ربع ساعة . . . كان جالسا الى هذه المائدة ! . ولم يكن لي جذب انتباهي ، اذ لم يكن قد قال لي ، بدلا من ان يحدد لي نوع المشروب الذي كان يريد .

- نفس المشروب الذي قدمته لي بالأمس !

غير انني لم اكن اذكر انني رايتَه على الاطلاق . . . فقلت له :

- هل تسمح فتذكرني به ؟

- واحد جان - فيز .

ولقد عجبت لذلك كثيرا ! لانني واثق من انني لم اقدم هذا المشروب مساء أمس !

ولبت بضع دقائق ، ثم انصرف . . . ومن الغريب انك رحمت تعرض على صورته منذ وقت قصير .

لم يكن ثمة غرابة على الاطلاق . لقد اراد روجيه ان يقيم الدليل على انه كان في « السيليكيت » عشية الامس ، كما صرح بذلك ليجريه . وقد لجأ في سبيل ذلك الى حيلة ماهرة ، ولم يخطيء الا حين اختار مشروبا قليل الشبوع . ومرت دقائق ، ثم دخلت نين ، عابسة النظرة ، وجلست الى اقرب مائدة من البار ، وما ان لمحت المفتش ، حتى نهضت ، وترددت ، ثم تقدمت نحوه وسالته قائلة :

- هل تريد ان تتحدث الي ؟

- ليس هذا بالضبط . ولكن ؟ مع ذلك ! أحب ان اوجه

اليك سوآلا .

- انت تحضرين الى هنا كل مساء ، اليس كذلك ؟

- كان ريمون يحدد هذا المكان دائما للقائنا !

- هل تعتادين الجلوس فى مكان محدد ؟
 - هناك ، حيث جلست عند دخولى . . .
 - وهل كنت تجلسين هناك بالأمس ؟
 - أجل ، لماذا ؟
 - الا تذكرين أنك رأيت صاحب هذه الصورة ؟
 وتأملت صورة روجيه ، ثم دمدت قائلة :
 - انه جارى فى الفندق .
 - أجل ، ابن كوشيه . . .
 فراحت عينها تحمقان ، وقد اضطربت لهذا التوافق ؟
 وساءلت نفسها عما يخبئه من أمور .
 - لقد زارنى ، صباح اليوم ، بعد انصرافك بقليل . . . كنت
 عائدة من « المولان بلو » .
 - ماذا كان يريد ؟
 - لقد سألنى قرصا من الاسبرين من أجل « سيلين » التى
 كانت مريضة . . .
 - وفى المسرح ؟ هل اقاموك بعمل ؟
 - على أن أكون هناك هذا المساء . . . لقد أصيبت احدئ
 الراقصات . . . واذا لم تتحسن حالها فسأحل محلها ، وربما
 تعاقدوا معى نهائيا . . .
 ثم خفضت صوتها لكى تكمل الحديث :
 - المائة فرنك معى . . . هات يدك . . .
 وكانت هذه الحركة بمثابة كشف ابان ملامح لنفسية بأسرها .
 كانت لا تريد أن تناول ميجرية المائة فرانك علانية ! كانت تخشى أن
 تسبب له حرجا ؛ فكانت تقبض على الورقة فى راحة يدها وقد
 طوتها دقيقا ! ثم ناولته اياها كما لو كانت تناولها لمعشوق .
 - أشكرك افقد كنت طيبا معى . . .
 وكان المرء يشعر بفتورها . كانت تتطلع حولها دون أن تعبير

اتبأها ان يروحوون ويجبئون . ومع ذلك فقد ارتسست على
شفتيها ابتسامة شاحبة ، ونوهت قائلة :

- ان مدير الفندق ينظر الينا . . . انه يسائل نفسه عن
سبب وجودى معك . . . ويبدو انه يظن اننى عثرت على بديل
« لريمون » . . . ستعرض نفسك للشبهة !

- هل ترغبين فى تناول شىء ؟

فاجابت فى السر :

- متشكرة ! لو احتجت الى مصادفة . . . انا فى « المولان بلو » ،
اسمى « اليان » . . . وانت تعرف مدخل الفنانين ، شارع
« فونتين » ؟ . . .

لم يكن فى الأمر مشقة كبيرة . فقد ضغط ميجره على جرس
باب شقة شارع هوسمان ، قبل موعد العشاء بدقائق . كانت
رائحة زهر الاقحوان الكئيبة تسود الجو ابتداء من المدخل . فراحت
الخادمة تفتح الباب ، وهى تسير على اطراف اصابعها .

لقد ظنت ان المفتش يريد ببساطة ان يقدم بطاقته ، فقادته
دون ان تقول كلمة الى حجرة الميت ، التى يجللها السواد ، وعند
المدخل ، وجد عديدا من بطاقات الزيارة فوق طبق كبير من طراز
لويس السادس عشر .

كان الجسد قد اودع الصندوق ، الذى كان يختفى تحت
الازهار .

وفى احد الأركان ، يرى الناظر رجلا وجيها يلبس الحداد ،
واح يومىء الى ميجره برأسه ايماءة خفيفة .

وفى مواجهته ، كانت هناك امرأة فى نحو الخمسين من
عمرها ، ذات ملامح غليظة ، تهنمت فى ثياب ريفية ، تجثو على
ركبتيها . واقترب المفتش من الرجل :

- هل استطيع ان ارى مدام كوشيه ؟

— سأسأل أختي عما إذا كان في استطاعتها مقابلةتك ...
سيادتك؟ ...

— ميجريه! مفتش الباحث المكلف بالتحقيق ...
ولبثت الفلاحة مكانها . ومرت عدة لحظات ، عاد الرجل على
أثرها وقاد ضيفه خلال الشقة .

وبخلاف رائحة الزهور التي كانت تسود المكان كله ، كانت
الحجرات محتفظة بطابعها المعتاد . كانت شقة جميلة من طراز أواخر
القرن الماضي ، شأن غالبية شقق شارع هوسمان . حجرات
واسعة ، والأسقف والأبواب أفرط في تزيينها بعض الشيء .
وأثاث طراز كلاسيكي . وفي حجرة الاستقبال ، علق ثريا
أثرية من البلور ، ما أن يسير المرء حتى تدق .

كانت مدام كوشيه موجودة ، يحيطها ثلاثة أشخاص قامت
بتقديمهم . أولا ، الرجل الذي يرتدى الحداد قدمته قائلة :

— أخى ، هنرى دورومى ، محامى فى الحكمة ..
ثم رجل متقدم فى السن :

— عقيد دوروموى ، عمى ...
وأخيرا ، امرأة فضية الشعر :

— ماما ...

كانوا جميعا ، وقد ارتدوا الحداد ، غاية فى الواجهة . ولم
يكن الشاي قد رفع من فوق المائدة . وكانت هناك بقايا «توست»
وحلوى .

— تفضل بالجلوس ...

— سؤال ، لو سمحت ، هذه السيدة التي فى حجرة المبيت ...
فقال مدام كوشيه :

— انها أخت زوجى ... وصلت صباح اليوم من « سيانت

أمون » ...

لم ينتسم ميجريه . ولكنه أدرك السبب . كان يشعر تماما

أنهم لا يحبون لآحد أن يشهد عائلة كوشيه لآدى وصولها ، فى ثياب ريفية أو برجوازية .

وكان هناك أقارب الزوج « آل كوشيه » وأقارب الزوجة « آل دورموى » . قال دورموى يتسمون بالأناقة ، والرزانة وجميعهم يرتدون فعلا ملابس الحداد . أما آل كوشيه ، فلم يصل منهم إلا هذه المرأة التى تضيف صديريتها الحريرية على ما تحت أبطيها بشدة .

– هل أستطيع أن أقول لك كلمتين على انفراد ، يا سيدتى ؟
فاستأذنت من أفراد عائلتها ، الذين كانوا يريدون مغادرة المكان .

– البشوا ، أرجوكم . . . سنذهب الى الركن الأصفر . . .
لقد بكت ، لآشك فى ذلك ، ثم ذرت وجهها بالمساحيق ، وكان فى استطاعة الناظر إليها أن يدرك بصعوبة أن جفنيها مثخنان قليلا . وكان صوتها غائبا بفعل اعياء حقيتى .

– ألم تتلق اليوم زيارة غير منتظرة ؟

قرفعت رأسها ، على مضض :

– كيف عرفت ؟ . . . أجل . . . عند حلول العصر ، جاءنى

ابن زوجى . . .

– كنت تعرفينه قبلا ؟

– معرفة طفيفة . . . كان يزور زوجى فى مكتبه . . . وفوق

ذلك فقد صادفناه مرة فى المسرح ، وقام ريمون بتقديم آحدنا

للاخر . . .

– وقيم كانت زيارته ؟

كانت ضيقة ، فأشاحت بوجهها :

– كان يريد أن يعرف ما اذا كنا عثرنا على وصية . . . وقد

طلب الى أيضا أن أدله على رجل أعمالى ، حتى يتحدث اليه بشأن

الاجراءات . . .

وتنهدت ، وحاولت أن تجد عدرا لهذه الخسارة .

- هذا من حقه ! اعتقد أن نصف الثروة تؤول اليه ، وانا لا انوى ان اهضمه هذا الحق .

- هل تسمحين لى بتوجيه بعض الاسئلة الفضولية ؟ ..
عندما تزوجت كوشيه ، هل كان غنيا ؟

- أجل ٠٠٠ أقل من اليوم ، ولكن أعماله كانت قد بدأت تروج ٠٠٠

- زواج حب ؟

فندت عنها ابتسامة غبشاء .

- لقد تقابلنا فى « دينار » .. وبعد ثلاثة اسابيع ، سألنى عما اذا كنت اوافق على ان اصبح زوجة له .. واستعلم اهلى عنه ..

- وهل كنت سعيدة ؟

ونظر فى عينيها ، واصبح فى غنى عن اجابتهما . واثر ان يدمدم قائلا :

- كان ثمة فارق فى السن .. كان كوشيه مشغولا بأعماله باختصاص ، لم يكن بينكما حب كبير .. صحيح هذا ؟ ..
كنت نديرين منزله .. وكانت لك حياتك ، وكانت له حياته ..

- اننى لم أوجه له اللوم على الاطلاق ! لقد كان رجلا يتمتع بحيوية عظيمة ، وفى حاجة الى حياة كثيرة الحركة .. ولم أكن لأحب ان أقف فى طريقه .

- ألم تشعرى بالغيرة ؟

- فى البداية .. ثم تعودت على ذلك .. واعتقد انه كان يحبنى كثيرا .

كانت على قدر غير قليل من الجمال ، ولكن دون تآلق أو احتداد . ملامح دقيقة الى حد ما ، وجسد بض . وأناقة معتدلة . لا بد وانها كانت رائعة عندما قامت بتقديم الشاي الى صديقاتها ، فى حجرة الاستقبال الفاترة المريحة .

- هل كان زوجك يحدثك كثيرا عن زوجته الاولى ؟
عندئذ جمدت حدقتاها . وحاولت ان تخفى غضبها ، ولكنها
ادركت ان الامر لا ينطلى على ميجريه ، فراحت تقول :
- ليس على انا ان ...
- آسف . فنظرا لظروف الجريمة ، لا يمكن ان يكون هناك
مجال للتلف في الحديث ...
- الا ترتاب في احد ؟ ...
- انا لا ارتاب في احد . اننى احاول ان اكون صورة عن حياة
زوجك ، والمحيطين به ، والأعمال والحركات التى قام بها فى ليلته
الاخيرة . هل كنت تعلمين ان تلك السيدة تسكن نفس العمارة
التى توجد بها مكاتب كوشيه ؟
- اجل ! لقد اخبرنى بذلك ...
- وكيف كان يتحدث عنها ؟
- كان يحقد عليها ... ثم خجل لهذا الاحساس ، وكان يزعم
انها فى الواقع تعتبر شقيه ...
- ولماذا شقيه ؟
- لانه لم يكن هناك ما يشبعها ... ثم ...
- ثم ؟
- انك تدرك ما اريد ان اقله ... انها نفعية الى حد كبير
... وباختصار ، لقد هجرت « ريمون » لانه لم يكن يكسب مالا
كافيا ... وبعد ذلك ، نجده غنيا ... وتكون هى زوجة موظف
بسيط ...
- ألم تحاول ان ...
- كلا ! لا اعتقد انها طلبت منه مالا على الاطلاق . صحيح ان
زوجى ما كان ليطلعتى على ذلك . كل ما اعرفه لن عقابله لها فى
ميدان الفوج كانت تسبب له الما . واعتقد انها كانت تتخسّد
التدابير لكى تكون فى طريقه . لم تكن تتحدث اليه ، ولكنها كانت
تنظر اليه بازدراء .

لم يستطع المفتش ان يكتم ابتسامه ، وهو يتصور اللقائات
التي كانت تتم تحت القبو : كوشيه ينزل من العربية ، نضيرا
موردا ، ومدام مارتان ، متعاطمة ، بقفازها الأسود ومعطفها وحقبة
يدها ، ووجهها السام . . .

— اهذا كل ما لديك من معلومات ؟

— ولو استطاع لغير مكان عمله ، ولكن من الصعب ان يعثر المرء
فى باريس على معامل . . .

— بالطبع ، الا تعرفين اعداء لزوجك ؟

— ابدا ! كان يتمتع بحب الجميع ! كان طيبا للغاية ، طيبا
لدرجة تثير السخرية . . . لم يكن ينفق ما يجمع من اموال : كان
يبعثها . . . وعندما كنا نلومه على ذلك ، كان يجيب بأنه ظل
سنوات يجمع المليم فوق المليم ، لبدو فى النهاية مبدرا . . .

— وهل كان يزور عائلتك كثيرا ؟

— نادرا ! فليست العقلية واحدة ، اليس كذلك؟ . . . ولا الاذواق
متفقة .

وبالفعل ، وجد ميجره صعوبة فى تصويره لكوشيه فى حجرة
الاستقبال مع المحامى ، والعقيد والام التى تم حركاتها عن
كبرياء .

كل هذا من اليسير ادراكه .

شاب دموى ، قوى ، سوقى ، يخرج من لاشىء ، يقضى ثلاثين
عاما من حياته سعيا وراء الثروة ، ولا يقتات الا من لحوم الابقان
المصابة بالكلب . . . ويصبح غنيا . وفى « دينار » يتوصل الى
مجتمع لم يقبله على الاطلاق . فتاة بمعنى الكلمة ، عائلة برجوازية
. . . شاي ، و « بيتى فور » وتينس ، وصحاب .

تزوج ! لكى يبرهن لنفسه ان كل شىء اصبح جائزا له منذ
الآن ! لكى تكون له حياة داخلية كأولئك الذين لم يطلع عليهم الا من
الخارج !

تزوج أيضا لانه تأثر بهذه الفتاة العاقلة المؤدبة . . .
فكانت شقة شارع هوسمان ، بما فيها من أشياء تقليدية . . .
كل ما هناك ، أنه كان فى حاجة الى الانطلاق خارج البيت ،
- ورؤية اناس آخرين ، والتحدث اليهم دون تحفظ . . . والى
الحانات ، والبارات . . .

ثم كان فى حاجة الى نساء أخريات .
كان يحب زوجته طبعاً ! وكان معجباً بها ! وكان يحترمها !
وكانت هى تؤثر فيه .

ولكن من اجل هذا السبب الأخير كان فى حاجة الى نساء
ساعات تربيتهم ، على شاكلة « نين » لينطلق معهن على سجيته .
وتراقص سؤال على شفتى مدام كوشيه ، كانت تتردد فى
توجيهه . ومع ذلك ، فقد عقدت عزمها وهى تتطلع الى مكان
آخر :

- أريد أن أسألك عما اذا . . . الأمر حساس . . . اعذرني . . .
كانت له صديقات ، أنا أعرف ذلك . . . فهو لم يكن يكتب ذلك -
ولا يكاد ! الا عن حرص . . .

انى أريد أن أعرف ما اذا كان سينتج عن ذلك مضايقات ،
وفضائح . . .

كانت بلا شك ، تتصور عشيقات زوجها كاولئك العاهرات
اللانى تتحدث عنهن الروايات ، أو كنجوم السينما !
- لا تخشى شيئاً !

ابتسم لها ميجريه وهو يستعيد صورة نين الصغيرة ، بوحها
القروى ، وحفنة المجوهرات التى أودعتها بنك التسليف . عصر
اليوم نفسه .

- ألن يكون من الضرورى أن ؟ . . .
- كلا ! لن يكون هناك أى تعويض !
وعجبت لذلك كثيراً ، وربما اغتمت لذلك قليلاً ، لانه اذا كانت

هؤلاء النساء لا تطالبن بشيء ، فذلك لأنهن يحتفظن لزوجها بنوع من الود ! وكذلك هو بالنسبة لهن .

— هل حددتم موعد الجنازة ؟

— لقد تكفل اخي بهذا الأمر . . . وستقام يوم الخميس ، في

سان — فيليب — دي — رول . . .

وبلغت الأسماع أصوات تأتي من حجرة الطعام المجاورة .
أو كان هذا بالطبع ايذانا بأن تهيأ لطعام العشاء ؟ .

— لم يبق أمامي الا ان أقدم لك الشكر ، وان استأذنك في

الانصراف ، مكررا أسفى . . .

وبينما كان يهبط شارع هوسمان سائرا على قدميه ، فوجيء

بنفسه يدمدم قائلًا وهو يحشو غليونه ؟

— كوشيه أيها الجليل !

وجد نفسه يقول ذلك كما لو كان كوشيه هذا صديقا قديما

له . كان منفعلا لدرجة الدهول لكونه لم يعرفه الا ميتا .

كان يبدو له انه يعرفه معرفة تامة من جميع النواحي .

امن الممكن ان يكون ذلك بسبب النساء الثلاث ؟

الأولى ، ابنة الحلواني ، التي تقطن في « نانثير » ، والتي تارق

لان زوجها قد يظل أبدا بلا مهنة محترمة .

ثم فتاة « دينار » ، وما حظى به كوشيه من اشباع ضئيل

لكبريائه ، اذ أصبح نسيبا لعقيد .

و « نين » . . . ولقاءات « اليليكيت » . . . وفندق بيجال . . .

والابن الذي كان يأتيه طالبا المال اومدام مارتان التي كانت

تتخذ التدابير لتقائه تحت القبر ، وربما أملا منها في مضايقته عن

طريق تأنيب الضمير . . .

اعجب بها من نهاية ! وحيد تماما في المكتب الذي يأتيه لئلا

متكئ الى الخزانة المفتوحة ، ويداه فوق المنضدة . . .

ولم يلمح أحد شيئا . . . والجارسة ، وهي تمر بالفناء ، كانت

تراه في نفس المكان خلف الزجاج الكثيف . . .

ولكن الذى يقلقها بنوع خاص ؟ هى مدام سان - مارك التى كانت تلد .. والمجنونة التى راحت تصرخ بشدة ! وبمعنى آخر ، ماتيلد العجوز التى راحت تتربص خلف احد ابواب المر وهى تتعمل اللباد .

والسيد مارتان ، فى معطفه المطاط ، ينزل وينقب عن قفازه قرب أوعية القمامة .. ثمه شىء أكيد : وهو أن شخصا يملك الآن الثلاثمائة والستين ألف فرنك المسروقة ! وأن شخصا قام بالقتل ! - الرجال جميعهم أنانيون ! - قالتها مدام مارتان بمرارة ووجه يقطر الما .

أهى التى معها الثلاثمائة والستون ألف فرنك التى قام بتسليمها بنك تسليف ليون ؟ أهى التى تملك المال ، المال الكثير ، حزمة كاملة من الأوراق المالية الكبيرة تمثل سنوات من الراحة بغير اهتمام بالغد ولا بالمعاش الذى يؤول لها بموت مارتان ؟

أهو روجيه ، بجسده الأملس ، الذى استنفده الاثير وسيلين التى التقطها من الطريق لكى يخبئها معه فى سرير الفندق الرطب ؟ أهى نين ، أم مدام كوشيه ؟

وعلى كل ، هناك مكان كان من الممكن أن نرى منه كل شىء ؟ مسكن آل مارتان .

وهناك امرأة تحوم فى البيت ، تلصق أذنها بكل الأيسواب ، وتجر نعلها فى المرات .

وحدث ميجرية نفسه قائلا :

- يجب أن أقوم بزيارة ماتيلد العجوز !

ولكنه عندما بلغ ميدان الفوح ، صباح اليوم التالى ، راحت الحارسة التى كانت تفرز البريد « كومة كبيرة لمعمل الامصال ، ووضع خطابات فقط لبقية السكان » توقفه !

هل أنت صاعد الى آل مارتان ؟ . . لست أدري ما اذا كنت

تحسن الصنع . فقد كانت مدام مارتان الليلة تقاسى من مرض
فظيع . . واضطرونا للجوء الى الطبيب . . ان زوجها كالمجنون . .

كان الموظفون يعبرون الفناء ، فى طريقهم لاستلام أعمالهم فى
المعامل والمكاتب ، وكان الخادم ينفذ البساط فى نافذة بالطابق
الاول .

وثمة صراخ طفل وليد وأغنية شعبية ترددها مرضعة فى
وتابة .

- ٦ -

حرارة أربعون درجة

صه ! .. لقد نامت .. ومع ذلك .. أدخل ..

وغاب السيد مارتان ، راضيا . راضيا ان يدع مسكنه الذى
تسوده الفوضى على مرأى من الفريب ، راضيا أن يبدو هو نفسه
بدون هندمة أو تزين وقد تدلى شارباه ، الضاربان الى الاخضرار ،
مما يدل على أنه تعود تخضيبهما .

لقد ظل طوال الليل ساهرا . كان منهكا ، لا يصدر عنه رد فعل
على الاطلاق . وعلى أطراف أصابعه ، راح يوصد الباب الذى يوصل
الى حجرة النوم ، ويرى الناظر منه قائم السرير وطستا موضوعا
على الأرض .

- هل أخبرتك الحارسة .

كان يهمس ، ونظراته القلقة مصوبة ناحية الباب . وفى نفس
الوقت ، راح يطفىء موقد الغاز الذى كان يسخن فوقه كمية من
القهوة .

- فنجان صغير ؟

- شكرا .. لن أزعجكم كثيرا .. لقد آثرت اللجىء للسؤال
عن مدام مارتان .

- أنت لطيف للغاية !

قالها مارتان باقتناع .

كان فى الحقيقة لا يرى فى ذلك سوء قصد على الاطلاق

لقد كان من الاضطراب بمكان حتى أنه فقد كل حاسة للنقد . وفضلاً
عن ذلك ، فهل كان يتمتع بهذه الحساسة قبلاً ؟
- ما أفظعها ، تلك الأزمات ! . هل تسمح لى بتناول قهوتى فى
حضرتك ؟ ..

واضطرب لما وجد أن حمالات سرواله تصطك بسمانتى ساقيه ،
فأسرع يصلح من زينته ، ورفع عن النضد زجاجات أدوية كانت
تتحرك .

- هل تنتاب هذه الأزمات مدام مارتان كثيراً ؟

- كلا .. وبخاصة هذا النوع العنيف ! .. انها عصبية الى
حد بعيد ..

يبدو أنها عندما كانت فتاة كانت تنتابها أزمات عصبية كل
اسبوع ..

- والآن أيضا ؟

فرمقه مارتان بنظرة كلب مضروب ، وتجرا فصرح قائلاً :
- انا مضطر لهاودتها .. فما أن تواجهها معارضة بسيطة ،
حتى تقع فريسة لهيجان شديد !

كانت هيئته بنوع خاص مدعاة للسخرية ، بمعطفه المطاط ،
وشاربيه المشمعين ، وقفازه الجلد . كان صورة كاريكاتورية لموظف
صغير مغرور .

أما الآن فقد زال لون شعره ، وبدت عيناه عليلتين . لم يكن
لديه وقت لكى يفتسل . وكان لا يزال مرتدياً قميص النوم ، تحت
سترة قديمة .

كان يبدو رجلاً رضى الخلق . وكان الناظر بدهل اذ يدرك أنه
يبلغ من العمر خمسين عاماً على الأقل .

- هل تعرضت لما ضايقها ، مساء أمس ؟

- كلا .. كلا ..

كان مذعوراً ، ينظر حوالياً فى فزع .

- ألم تستقبل أحداً ؟ .. ابنها ، مثلاً ؟ ..

- كلا! .. وصلت انت . ثم تناولنا عشاءنا .. ثم ..
- ماذا ؟

- لا شيء .. لست أدري .. لقد حدث هذا من تلقاء نفسه ..
فهي حساسة الى حد بعيد .. لقد لاقت في حياتها كثيرا من
المصائب! ..

هل كان يعتقد فعلا فيما يقول ؟ كان ميجريه يشعر أن مارتان
يتحدث لكى يقنع نفسه .

- باختصار ، أليس لك ، شخصيا ، رأى فى هذه الجريمة ؟
فترك مارتان الفنجان الذى كان بيده يسقط على الأرض . ترى
أكانت أعصابه مريضة ، هو الآخر ؟

- ولماذا يكون لى رأى ؟ .. أقسم لك .. لو كان لى رأى ، لـ ..
- أنت ؟

- لست أدري .. شيء فظيع! .. وبالذات فى وقت تكثر فيه
أسمانا فى المكتب .. لم يكن لدى وقت حتى لكى أخبر رئيسى ،
هذا الصباح ..

ومر بيده النحيلة فوق جبينه ، ثم شرع يلتقط قطع الخزف ،
وبحث طويلا عن خرقة ليجفف الأرضية .

- لو استمعت لى ، لما بقينا فى هذا البيت ..

كان خائفا ، كان هذا واضحا . كان منحلا من الخوف . ولكن
ما مبعث هذا الخوف ، ومن يا ترى مصدره ؟

- أنت رجل شهم ، اليس كذلك يا سيد مارتان ؟ والرجل
النزيه ..

- لقد خدمت اثنين وثلاثين عاما و ..

- اذن ، لو كنت تعرف شيئا يمكن أن يساعد العدالة ، فى
الكشف عن الجانى ، فمن واجبك أن تخبرنى به ..
الن تصطك اسنانه ؟

- كنت أقول بالتأكيد .. ولكننى لا أعرف شيئا .. وأنا نفسى
أريد أن أعرف .. فليست هذه حياة ..

- ما رأيك فى ابن زوجتك ؟

فاستقرت من مارتان على ميجريه نظرة متعجبة .

- روجيه ؟ .. انه ..

- شخص منحرف ، أجل !

- ولكنه ليس شريرا ، أقسم لك .. انها غلطة أبيه .. كما
تردد زوجتى ذلك دائما ، فلا يجب أن نعطى الفتيان مثل هذه الأموال
الكثيرة .. وهى محقة فى ذلك ! وأنا أعتقد مثلها أن كوشيه لم يكن
يأتى ذلك عن طيبة قلب ، ولا عن حب لابنه الذى لم يكن يكثرث به
.. كان يفعل ذلك ليتخلص منه ، ليكون على وفاق مع ضميره ..

- ضميره ؟ ..

أفاحمر وجه مارتان ، وازداد ارتباكه .

- لقد أخطأ نحو « جوليت » ، أليس كذلك ؟

قالها مارتان بصوت أكثر خفوتا .

- جوليت !

- زوجتى .. زوجته الأولى .. ماذا فعل من أجلها ؟ . لا شيء
.. لقد عاملها معاملة الخادمت . ومع ذلك فهى التى اعانتته فى
الأوقات العصبية .. وبعد ذلك ..

- لم يعطها شيئا ، طبعاً .

ولكنها كانت قد تزوجت من جديد ..

أفاصطبغ وجه مارتان بلون أرجوانى . كان ميجريه يتطلع اليه
متعجباً مشفقاً لأنه كان يدرك أن هذا الرجل الطيب لا دخل له فى
هذه القضية المذهلة . أن كل ما يفعله هو تزديد لما يمكن أن يكون
لقد سمعه من زوجته مائة مرة .

لأن كوشيه غنيا ! وكانت هى فقيرة ! . اذن ..

ولكن المفتش راح يصفى السمع .
- ألم تسمع شيئاً ؟

ولزما الصمت برهة . فأدركا نداء غير واضح ياتى من الحجرة
المجاورة . فراح مارتان يفتح الباب ، فسمع مدام مارتان تسأل
قائلة :

- ماذا تقص عليه ؟

- لكن .. اننى ..

- انه المفتش ، أليس كذلك ؟ .. ماذا يريد ثانية ؟ ..

لم يكن ميجريه يراها . وكان الصوت صوت انسان واقد ؟
بلغ منه الارهاق مبلغاً بعيداً ، ولكنه مع ذلك يحتفظ برباطة
جأشه .

- لقد أتى المفتش ليسأل عنك ..

- دعه يدخل .. انتظر ! ناولنى منشفة مبلله والمرآة . والماشطة
- ستتضايقين ثانية ..

- امسك المرأة معتدلة ! .. كلا ! دعها أفضل .. انك لست
بقادر على ان .. ارفع هذا الطست ! .. آه ! الرجال .. ما ان
تفيب الزوجة حتى يصبح البيت مثل الحظيرة .. دعه يدخل
الآن .

كانت الحجرة مثل حجرة الطعام ، عابسة كئيبه ، قليلة الاثاث ،
مع افراط فى الستائر القديمة ، والاقمشة البالية ، والسجاجيد
الرخيصة التى زالت عنها ألوانها . ومن عند الباب شعر ميجريه
بنظرة مدام مارتان مصوبة نحوه ، هادئة ، حسيمة بطريقة عجيبة .
وعلى صفحة الوجه المشدود ، شهد ابتسامة مريض متعلقة .
قالت :

- لا تلقى بالا .. كل شىء فى فوضى شنيعة ! .. وذلك بسبب
حلك الأزمة ..

ونظرت امامها فى اكتئاب .

- ولكننى فى حال أفضل .. فيجب أن أشقى غدا ، من أجل
الجنائز .. هل ستقام غدا فعلا ؟ .

- أجل ، ستكون غدا . أنت تتعرضين لهذه الأزمات ..

- كانت تتتابنى وأنا طفلة .. ولكن أختى ..

- هل لك أخت ؟

- لى أختان .. لا تعتقد فيما ليس له وجود .. كانت الصغرى

تعرض هى الأخرى للازمات .. وتزوجت .. وكان زوجها انسانا

حقيرا . وذات يوم انتهز احدى هذه الأزمات وطالب بتحويلها الى

مستشفى الأمراض العقلية .. فماتت ، بعد اسبوع .

- لا تنفعلى ! .

قالها متوسلا اليها وهو لا يدرى أين يجلس ولا أين ينظر .

فسأل ميجرية قائلا :

- مجنونة ؟ .

فقسست ملامح المرأة ، وغدا صوتها رديئا .

- أى أن زوجها أراد أن يتخلص منها ! .. وبعد مضى أقل من

سنة أشهر تزوج من أخرى .. والرجال جميعا هم الرجال . ونحن

نخلص لهم ، ونقتل انفسنا من أجلهم ..

فتنهذ الزوج قائلا :

- اتوسل اليك !

- أنا لا أقول ذلك من أجلك ! مع أنك لست أفضل من

الآخرين ..

وشعر ميجرية على حين بغتة بما يشبه تيارات من الحقد .

كان ذلك عابرا .

كان ذلك غامضا . ومع ذلك فقد كان على ثقة من أنه لم يخطئ

فى ظنه .

ثم أردفت تقول :

- وهذا لا يمنع اننى لو لم أكن موجودة ..

اليس فى صوتها تهديد ؟ كان الرجل يتحرك فى الفراغ . ولكن
يحافظ على اتزانه ، راح يعد جرعة من الدواء يسكبها واحدة واحدة
فى كوب .

– لقد قال الطبيب !

– اننى أسخر من الطبيب !

– ومع ذلك فيجب .. خذى ! اشربى ببظء .. انه ليس رديئا
فنظرت اليه ، ثم نظرت الى ميجرية ، واخيرا شربت ، وهى تهزأ
كتفيها مستسلمة .

– ألم تات حقا الا لتسأل عنى ؟

قالتها بحدر .

– كنت فى طريقى الى المعامل ، عندما اخبرتنى الحارسة .

– هل اكتشفت شيئا ؟

– ليس بعد ..

فأغلقت عينيها ، لتظهر تعبها ، وتطلع مارتان الى ميجرية وهى
ينهض :

– واخيرا اتمنى لك شفاء عاجلا .. انك فعلا فى حال احسن .

وتركته ينصرف . ومنع ميجرية مارتان من توصيله للباب .

– ابق الى جوارها ، أرجوك .

يا للشخص المسكين ! لعله كان خائفا من البقاء الى جوارها
ولعله كان يتعلق بالفتش ، لانه عندما يكون هناك ثالث فان الامر
يكون اخف وطأة .

– سترى ان الامر لا يعدو شيئا .

وبينما كان يعبر حجرة الطعام ، سمع صوت شخص يهرج
الى الممر . ثم لحق بماتيلد العجوز ، فى اللحظة التى كانت تعود
لقيمها الى حجرتها .

– صباح الخير ، يا سيدتى .

فتطلعت اليه فى خوف ، دون أن تجيب ، ويدها علم ، « أكرة الباب » .

كان ميجرية يتحدث بصوت خافت . اذ كانت عينه على اذن مدام مارتان التى تصفى السمع ، فقد كان من الممكن أن تنهض بدورها فتنصت عند الأبواب .

— انا ، كما تعلمين ، مفتش الباحث المكلف بالتحقيق . .

كان يدرى مقدما أنه لن يخرج بشيء من هذه المرأة . ذات الوجه الهادى الى الحد الذى أصبح معه قمريا .

— ماذا تريد منى ؟ .

— أريد فقط أن أسالك عما اذا كان لديك ما تريدن قوله لى . . هل تسكنين هذا المنزل منذ زمن بعيد ؟ . .

— منذ أربعين عاما !

قالتها بخفاف .

— أنت تعرفين جميع السكان . .

— انا لا أتحدث الى احد !

— اعتقدت أنك ربما تكونين قد رأيت شيئا أو سمعت شيئا . .

اففى بعض الاحيان ، يستطيع دليل بسيط أن يجعل العدالة تسير فى الطريق السليم . .

كانت ثمة حركة ، داخل الحجره . غير أن العجوز كانت تتشبهت

بالباب الموصل فى عناد . .

— ألم ترى شيئا ؟ . .

لم تجب

— ولم تسمى شيئا ؟

— أنك تحسن صنعا ، اذا قلت للمالك أن يركب لى جهازا

الغاز . .

— الغاز ؟

— كل من فى المنزل لديهم الغاز . أما أنا فلانه ليس من حقه
أن يرفع أجر مسكنى ، فهو يمنعه عنى . . . انه يريد أن يطردنى ! . . .
انه يفعل كل شىء لكى أذهب . . . ولكنه سيذهب قبلى ، الى القبر ! .
وتستطيع أن تنقل له ذلك عنى . . .

وفتح الباب قليلا ، بقدر يبدو معه مستحيلا على المرأة الضخمة
أن تمر من خلاله . ثم أغلقت دونها ، ولم يعد يبلغ الأذان الا ضوضاء
مكتومة فى الحجرة .

— بطاقتك لو سمحت ؟

وتناول الخادم ، الذى كان يرتدى صديرية مخططة ، البطاقة
التي قدمها له ميجريه ، وغاب فى الشقة التي كانت تفيض نورا ،
بفضل النوافذ التي كانت ترتفع الى خمسة أمتار ، الشىء الذى
قلما تصادفه فى غير عمارات ميدان الفوج وجزيرة « سان - لوى » .
كانت الحجرات فسيحة . ومن مكان ما فى الشقة كان يأتى
صوت مكنسة كهربائية . وثمة مرصعة فى « بلوزة » بيضاء ، وغطاء
رأس أزرق ، تنتقل من حجرة الى حجرة ، وهى ترمق الزائر بنظرة
فضول . . .

وجاء صوت قريب يقول :

— أدخل المفتش . . .

كان السيد سان - مارك بمكتبه ، فى عباءة البيت ، بشعره
الفضى الذى عنى بتصفيفه . وراح أولا يغلق بابا سنحت الفرصة
لميجريه أن يلمح من خلاله سريرا من طراز كلاسيكى ، ووجه امرأة
على وسادة .

— اجلس ، أرجوك . . . طبعاً ، أنت تريد أن تتحدث معى فى
ذلك الموضوع الم هول ، موضوع كوشيه . . .

وعلى الرغم من سنه ، فقد كان يوحى بالقوة ، والصحة . أما
الشقة فكان يسودها جو بيت سعيد ، كل ما فيه منير وبهيج .

- لقد تأثرت لهذه المأساة ، لا سيما وقد وقعت فى وقت
عصيب بالنسبة لى ..

- انا أعرف ..

وسطع فى عيني السفير القديم قبس من كبرياء ، لقد كان
فخورا أن يكون له ولد فى هذه السن .

- أرجو أن نتحدث بصوت منخفض ، لاننى افضل الا تعلم
مدام سان - مارك بهذه القصة .. فى مثل حالها ، قد نندم او
علمت بالخبر .. ولكن فى الواقع ، فيم تريد أن تسألنى ؟ اننى لا
أكاد أعرف كوشيه هذا .. لقد لمحته مرتين أو ثلاث مرات وأنا أعبر
الفناء .. انه ينتمى الى أوساط أتردد عليها من آن لآخر ، «الهوسمان»
.. ولكن ما كان له أن يرتادها .. كل ما هناك أننى لمحت اسمه فى
الدليل الذى ظهر حديثا .. وأنا أعتقد انه على شىء من السوقية ،
أليس كذلك ؟.

- أى أنه خرج من طبقة الشعب .. ولاقى بعض الصعوبات
ليصبح ما أصبح عليه ..

- لقد أخبرتنى زوجتى بأنه تزوج فتاة من عائلة كريمة ، كانت
صديقة قديمة لها فى القسم الداخلى .. وهذا أحد الأسباب
التي يستحسن من أجلها الا نطلعها على الأمر .. ماذا ترغب اذن ؟
ومن خلال النوافذ الكبيرة ، كان الناظر يشرف على ميدان
الفوج بأشعة شمسه الخفيفة البهيجة . وفى حديقة الميدان ، كان
البستانيون يقومون برى الأرض الحُضراء وأدغال الأزهار . وثمة
عربات نقل تجرها خيول فى خطى ثقيلة .

- مجرد استعلام .. اننى أعلم انك ، وقد ضقت بانتظار الاحداث
وهذا أمر طبيعى ، خرجت مرارا تجوب الفناء .. فهل حدث أن
صادفت شخصا ؟ ألم تر شخصا يتجه ناحية المكاتب التى تقسع
فى اقصى الفناء ؟.

فراح السيد مارتان يفكر وهو يعبث بقطع الورق .

- انتظر .. كلا ! لا أعتقد .. يجب أن تعلم أن أمورا أخرى

اكانت تشغل فكرى .. ان الحارسة قد تستطيع ذلك اكثر معنى .
- ان الحارسة لا تعرف شيئاً ..

- وانا ... كذلك! ... او بالأحرى ... ولكن لا يمكن أن
يكون لهذا اية علاقة بالموضوع .
- قل مع ذلك .

- فى لحظة ما ، سمعت ضوضاء تأتي من ناحية أوعية القمامة
... كنت بلا عمل ... فاقتربت فرأيت سساكنة من الطابق
الثانى ...

- مدام مارتان ؟

- اعتقد أن هذا هو اسمها ... اننى أعترف بأن معرفتى
بجيرانى ليست كما يجب ... كانت تنقب فى سطل من الزنك ...
واذكر انها قالت لى :

- ملعقة فضية سقطت عفوا فى القاذورات ...

فسالت :

- وهل عثرت عليها ؟

فقلت بشيء من الاحتداد :

- أجل! ... أجل ...

فسأل ميجريه :

- وماذا فعلت عندئذ ؟

- صعدت الى مسكنها ، بغطى حثيثة ... انها انسانة ضئيلة
عصبية ، يلوح عليها دائما انها تجرى ... واذا لم تخنى ذاكرتى ،
أقلقد حدث أن فقدنا خاتما قيما بهذه الطريقة ... وأجمل شيء ،
أن أحد لمامى الحرق أعاده للحارسة ، اذ كان قد عثر عليه وهو
يعالج خطافه ...

- هل تستطيع أن تقول لى فى أية ساعة وقعت هذه الحادثة؟

- قد يكون ذلك صعبا بالنسبة لى ... انتظر ... لم اكن
أرغب فى العشاء ... ومع ذلك ، فى حوالى الثامنة والنصف ،

واح البير ، خادمنا ، يتوسل الى أن أتناول شيئاً . . . ولما رقصت
الجلوس الى المائدة ، احضر لى فى حجرة الاستقبال فطائر صغيرة
بالأنشوجة . . . كان ذلك قبل . . .

– قبل الثامنة والنصف ؟

– أجل . . . ولنفترض أن الحادث ، كما تقول ، وقع بعشاء
الثامنة بقليل . . . ولكننى لا اعتقد أن لذلك أية أهمية . ما رأيك ؟
إنى هذا الموضوع ؟ . . . أما من جهتى فأنا أرفض تصديق ما بدأت
بمروجه الاشاعات ، من أن الجريمة ارتكبها شخص من المنزل . . .
تصور أن أى كائن يمكن أن يدخل الفناء . . . ومن جهة أخرى
أفسأوجه للمالك طلباً حتى يوصد الباب منذ الفروب . . .

كان ميجريه قد نهض ، فقال :

– لم أكون بعد رأبى !

وأقبلت الحارسة تحمل البريد ، ولما كان باب الردهة لا يزال
مفتوحاً ، فقد لمحت المفتش على حين فجأة وهو يختلى بالسسيلا
سان – مارك .

قلبى يا مدام بورسييه ! . لقد قلبت رأساً على عقب ! . وراحت
نظرتها تكشف عن عوالم من الاضطراب !

ترى أيسمح ميجريه لنفسه فى أن يرتاب فى آل سان – مارك ؟
أو فى مجرد مضايقتهم بأسئلته ؟

– أشكرك يا سيدى . . . وأرجو أن تفقر لى هذه الزيارة . . .
– سيجار ؟

كان السيد سان – مارك سيداً على قدر كبير من العظمة
تدل على رجل السياسة أكثر مما تدل على رجل الدبلوماسية .
– أنا تحت أمرك .

وأغلق الخادم الباب . وهبط ميجريه السلم فى توده ، فوجد
نفسه فى الفناء حيث يبحث موزع احدى المحلات الكبرى عن
الحارسة دون جدوى . لم يكن فى المسكن الا كلب ، وقط والطفلان
الصغيران المنصرفان الى تاطيخ بعضهما بحساء مختلط باللبن .

- ماما ليست موجودة ؟

- ستعود الآن « سيدى » ! لقد سعدت بالبريد . . .

وفى المكان الوضيع من الفناء ، بالقرب من المسكن ، كان ثمة أربعة صناديق من الزنك ، يأتيها السكان منذ الليل متتابعين فيلقون فيها بقاذوراتهم . وفى السادسة صباحا ، تفتح الحارسة باب الدخول ، فيقوم رجال التنظيم بتفريغ الأوعية فى عربتهم .

وهذا الركن ، لا يكون مضيئا ، فى المساء . فالمصباح الوحيد الذى ينير الفناء يوجد فى الناحية الأخرى ، أسفل السلم .
فعم جاءت تبحث مدام مارتان تقريبا فى اللحظة التى قتل فيها
أكوشيه ؟

هل كانت هى الأخرى مصممة على العثور على قفاز زوجها ؟
- كلا ! دمدم بها ميجريه وقد تذكر فجأة امرا . فمارتان لم
ينزل القمامة الا فى وقت متأخر جدا .

اذن فما معنى هذه الحكاية ؟ الموضوع لا يمكن ان يكون موضوع
ملعقة ضائعة ففى أثناء النهار لا يحق للسكان ان يضعوا أى شىء
داخل الأوعية الفارغة ؟

اذن عم كانا يبحثان ، كلاهما ، الواحد بعد الآخر ؟

كانت مدام مارتان تنقب فى نفس الوعاء !

ومارتان كان يحوم حوله وهو يحك أعوادا من الثقاب !

والقفاز ، عثر عليه فى اليوم التالى !

- هل رأيت الطفل ؟

اتى هذا الصوت من خلف ميجريه .

كان صوت الحارسة التى كانت تتحدث عن طفل آل سان -

هارك ، وهى أكثر تأثرا مما لو كانت تتحدث عن ابنيها .

- اظن انك لم تخبر السيدة بشىء ؟ فمن الواجب الا تعلم . . .

- اعرف : اعرف !

- أما عن الأكليل . . . أقصد أكليل السكان . . . قاننى اتساءل
عما اذا كان من الواجب ان نحملة اليوم الى منزل الميت ، أم أن
العرف يحتم الا تقدمه الا ساعة الجنازة . . . كان الموظفون لطفاء
للفاية ، فقد جمعوا ثلاثمائة فرنك .

ثم قالت وهى تلتفت ناحية احد الموزعين :

- ماذا هناك ؟

- سان - مارك !

- السلم الذى الى اليمين . الطابق الاول المواجهة . . . أضغط
على الجرس برقة ، أرجوك .
ثم قالت لميجريه :

- آه لو علمت مقدار ما تتلقاه من زهور ! لدرجة انهما لا يعرفان
أين يضعانها . . . لقد اضطرا الى وضع الجزء الأكبر منها فى
حجرات الخدم . . . الا تحب ان تدخل ؟ . . . جوجسو ، ألن تدع
اختك فى حالها ؟ . . .

كان المفتش لا يزال ينظر الى الأوعية . محاولا أن يتوصل الى
معرفة ما عسى كان يبحث عنه مارتان وزوجه بداخلها .

- هل تنقلينها فى الصباح ، فوق الطوار ، كما هو متبع ؟

- كلا ! فقد أصبح هذا الأمر مستحيلا منذ ترملت . أو انه
يلزمنى عندئذ شخص آخر ليساعدنى ، لأنها بالغة الثقل بالنسبة
لى . . . ورجال التنظيم ظرفاء وأنا أقدم لهم من آن لآخر قدها من
الجمعة انهم يأتون حتى الفناء لكى يحملوا الصناديق .

- حتى لا ينقب فيها لما هو الخرق ؟

- أتعرف ذلك ؟ انهم أيضا يدخلون القنساء . . . وفى بعض
الأحيان يكونون أربعة أو خمسة ، فيوسخون المكان بطريقة
فظيعة . . .

- أشكرك .

وانصرف ميجريه ، حالما ، نائبا أو مستحقا أن يقوم بزيارته
المكاتب من جديد ، كما عقد العزم على ذلك فى الصباح .

وعندما بلغ رصيف الأرقيفر ، كان فى انتظاره من يقول له :
= طلبك شخص بالتليفون ، عقيد .

ولكنه واصل تفكيره . وما أن فتح باب مكتب المفتشين ، حتى
لهادى قائلا :

- لو كان ستذهب الآن فورا وستقوم باستجواب جميع
لحامى الحرق الذين تعودوا أن يترددوا على ضواحي ميدان الفوج
وإذا لزم الأمر ستذهب الى مصنع سان - دىنى ، الذى تحرق فيه
القمامة

- ولكن

- يجب أن تعرف ما اذا كان أحدهم قد لاحظ شيئا غريبا فى
الأوعية الخاصة بالمنزل رقم ٦١ ميدان الفوج ، صباح أول أمس
كان قد تداعى فوق الكرسي ومرت بخاطره هذه الكلمة : عقيد .
« أى عقيد ؟ انه لا يعرف منهم أحدا »

آه أجل ! ومع ذلك فأحدهم يرد فى القصة ! عم مدام كوشيه !
فماذا يريد منه ؟

- الو ! أليزيه ١٧ - ٦٢ ؟ أنا ، ميجريه مفتش مباحث
من الشرطة القضائية . نعم ؟ العقيد دوروموى هو الذى يريد
أن يتحدث الى ! أنا باق على الجهاز ، أيوه الو أهذا
أنت ياسيدى العقيد ؟ ماذا جرى ؟ وصية ؟ أنا لا أسمع
جيدا كلا ، بالعكس اخفض صوتك ! ابتعد قليلا عن
الجهاز هذا أفضل ماذا اذن ؟ عثرتم على وصية
غريبة ؟ وغير معقولة أيضا ؟ مفهوم ! سأكون عندكم بعد
نصف ساعة كلا ! لا داعى لركوب عربة أجرة

وأشعل غليونه وهو يدفع الكرسي ، ووضع ساقا فوق
الأخرى .

(٧)

النساء الثلاث

→ العقيد ينتظر في حجرة سيادته • تفضل واتبعني •••
كان نعش الميت مقفولا • وثمة حركة في الحجرة المجاورة ، التي
تبدو أنها حجرة مدام كوشيه • وراحت الخادمة تدفع أحد الأبواب ،
فلمح ميجريه العقيد واقفا بالقرب من المنضدة ، وقد وضع عليها
يده خفيفا ، مرفوع الهامة ، وقورا ثابتا كأنه يقف أمام نحات يصنع
له تمثالا •

- تفضل بالجلوس !

غير أن ميجريه لم يجلس ، واكتفى بفك أزرار معطفه الثقيل •
ووضع قبعته فوق أحد الكراسي ، وشرع يحشو الفليون •• ثم
قال وهو يتطلع حوله باهتمام :

- هل أنت الذي عثرت على الوصية المذكورة ؟

- أجل ، صباح اليوم • ان ابنة أخي لا تعلم شيئا بعد •
ويجب أن أقول أن الأمر يدعو للاشمئزاز الشديد •••

حجرة غريبة على شاكلة كوشيه ، وأثاث على الطراز
الكلاسيكي شأن بقية الحجرات • وثمة بعض التحف القيمة ولكن ،
الى جوار ذلك ، كان الناظر يرى أشياء تنم عن ميول الرجل
الغريبة •

وأمام النافذة كانت ثمة منضدة يبدو أنه كان يتخذ منها
مكتبا ، وعليها بعض لفافات التبغ التركية ، ولكن الى جوار ذلك
أيضا نجد مجموعة كاملة من الغليونات الكرزية الواحد منها

بسته دراهم ، سودها كوشيه من فرط الاستعمال • ونجد كذلك
عباءة بيت أرجوانية ! كانت أكثر الموجودات اشراقا ! ثم نجد عند
قاعدة السرير أحذية مثقوبة النعال •
كان بالمنضدة درج •

– أظنك تلاحظ أنها مغلقة بالمفتاح ! ولست أدري حتى ما إذا
كان المفتاح موجودا • لقد حدث صباح اليوم أن احتاجت ابنه أخى
الى بعض المال لتسدد حساب أحد الموردين وأردت أن أجنبها عملية
امضاء صك • فبحثت فى هذه الحجره • وهذا ما وجدته •••

مظروف يحمل اسم « الجراند أوتيل » • ورقة خطاب ضاربه
الى الزرقه تحمل نفس العبارة •

ثم أسطر يبدو أنها خطت بلا تركيز ، وكأنها تسويده •
« هذ هي وصيتى ••• »

وبعد ذلك ، هذه الجملة التى لم تكن فى الحسابان :

« نظرا لأننى قد لا أهتم بالاستعلام عن قوانين الارث ، فأننى
أرجو السيد دامبير موثق عقودى ، أن يبذل جهده حتى تقسم ثروتى
بالتساوى ما أمكن بين :

« أولا : زوجتى ، جرمين دوروموى •

ثانيا : زوجتى الأولى وهى اليوم زوجة السيد مارتان ، وقاطنة
بميدان الفوج رقم ٦١ •

ثالثا : نين مونار ، التى تنزل فى فندق بيجال ، شارع
بيجال ، •

* * *

– ما ظنك ؟

كان ميجرية مبتهجا • لقد غدا كوشيه فى نظره ، بعد هاتى
الوصية لطيفا للغاية •
واردف العقيد قائلا :

طبعاً ، هذه الوصية ساقطة ، فهي تحوى كثيرا من أسباب
بطلانها . وبمجرد انتهاء الجنازة ، سنطعن فيها . واذا كنت وجدت
أن من المهم ومن الضروري أن أتحدث اليك الآن ، فذلك لأن ...

كان ميجرية لايزال يبتسم كما لو كان يشهد ملهاة . حتى
ورقة « الجرانند أوتيل » هذه ! فكوشيه ، شأن كثيرين من رجال
الأعمال ، الذين لا يملكون مكاتب فى قلب المدينة ، كان يتخذ من
الجرانند أوتيل مكانا للقاءاته ، وفى انتظار أحد الأشخاص فى
القاعة الفسيحة أو فى حجرة التدخين ، سحب أحد المساند وكتب
تلك السطور .

ولم يغلق المظروف ! وألقى بالجميع داخل درجه ، مرجئا عملية
تحرير هذه الوصية طبقا للقواعد الى ما بعد .
ومضى على ذلك خمسة عشر يوما .
وقال العقيد :

- لا بد أنك فوجئت بهذا الأمر الغريب . فقد نسى كوشيه
مجرد ذكر ابنه ! وهذا وحده يعتبر دليلا كافيا على بطلان
الدعوى و ...

- هل تعرف روجيه ؟

- أنا ؟ ... كلا ...

وكان ميجرية لايزال يبتسم .

- كنت أقول الآن اننى اذا كنت قد رجوتك للمجىء ، فذلك

لأن ...

- هل تعرف نين مونار ؟

فذعر المسكين كما لو أن أحدا داس قدمه .

- لاداعى لأن أعرفها ! ان عنوانها فقط ، بشوارع بيجال :

يعطينى فكرة عن ... ولكن ماذا كنت أقول ؟ ... آه ! أجل ! هل

رأيت تاريخ الوصية ؟ انه حديث . فقد مات كوشيه بعد كتابتها

بأسبوعين ... لقد قتل ! ... افترض اذن أن احدى المرأتين

المذكورتين كانت قد علمت بهذه الوصية ... اننى أعتقد أنهما

ليستا من الثراء فى شىء ...

• ولم تقول امرأتين •

– ماذا تقصد ؟

– ثلاث نساء ! ان الوصية تذكر ثلاث نساء ! نساء كوشية
الثلاث لو أردت !

• واعتقد العقيد أن ميجرية يمزح •

– اننى أتكلم جادا ••• ولا تنس أن فى البيت قتيلا ! وأنا
الامر يتعلق بمستقبل أشخاص عديدين !•••

• شئ بديهي ! ولم يحل ذلك دون رغبة ميجرية فى الضحك •
• ولم يكن يستطيع هو نفسه أن يستبين السبب •

– أشكرك لأنك أطلعتنى •••

• كان العقيد مغموما • فلم يكن يدرك معنى ذلك الموقف الذى
اتخذه موظف خطير كميجرية •

– اننى أفترض أن •••

– الى اللقاء ياسيدى العقيد ••• وأرجوك أن تنقل تحياتى
الى مدام كوشيه •••

• وفى الشارع ، لم يستطع أن يكتتم هذه الدممة •••

– كوشيه أيها الجليل !

• هكذا ، فى جمود ، بغير ضحك ، وضع نساءه الثلاث فى
وصيته ! بما فى ذلك زوجته الأولى ، التى أصبحت مدام مارتان •
والتي كانت لا تفقأ تقف فى طريقه تصوب نحوه نظرة ازدراء •
وكانها تأنيب حى ! بما فى ذلك نين الصغيرة الرضية ، التى كانت
تبذل وسعها لكى ترفه عنه !

• وعلى النقيض من ذلك ، نسي أن له ولدا !

• وظل ميجرية لحظة طويلة ، يسائل نفسه عن أول شخص يحمل
له هذا الخبر • أيحمله الى مدام مارتان ، التى قد تكفى الشروة
لتدفعها من السرير ؟ أم الى نين ؟

– انهما لم تستوليا بعد على النقود •••

آنها قصة من شأنها أن تستمر سنوات ! فقد توقع دعوى !
وعلى كل ، فان مدام مارتان قد لا تستسلم .

ولم يحل ذلك دون نزاهة العقيد ! فقد كان في استطاعته أن
يحرق الوصية دون أن يعلم بها أحد .

وراح ميجرية يخترق الحى الأوروبى قى مرح . والشمس
الحمراء تلتف من برودة الجو الذى يسوده نوع من البهجة .

- كوشيه أيها الجليل !

ودخل مصعد فندق بيجال دون أن يسأل شيئا . وبعد لحظات
اكان يطرق باب « نين » . كانت ثمة ضوضاء بالداخل . وانفجر
الباب بمقدار يسمح بمرور يد ظلت ممتدة فى الفضاء .

كانت يد امرأة كستها التجاعيد . ولما لم يتحرك ميجرية
فقد صبرها ، فبدا وجه عجوز انجليزية ، ثم دار حديث غير مفهوم .

أو بالأحرى أدرك ميجرية أن الانجليزية تنتظر بريدتها ، وهذا
ما كانت تدل عليه حركتها . والأوضح من ذلك هو أن نين لم تعد
تشغل حجرتها وقد لا تكون فى الفندق كله .

فحدث ميجرية نفسه قائلا :

- الأجر هنا مرتفع جدا بالنسبة لها !

ثم توقف مترددا أمام الباب المجاور ، فحملة أحد الخدم على
اتخاذ قرار ، عندما راح يسأله فى شكك .

- عم تبحث ؟

- السيد روجيه كوشيه . . .

- ألا يرد ؟

- لم أطرق الباب بعد .

وابتسم ميجرية مرة أخرى . كان جزلا . لقد شعر فجأة قى
ذلك الصباح أنه يشترك فى أداء مشهد هزلى ! ان الحياة كلها كانت
مهزلة ! ومقتل كوشيه كان مهزلة ، وبخاصة وصيته !

- ادخل !

وتحرك المزلاج فى الباب • فكان أول مقام به ميجريه هو أن
أزاح الستائر وفرج النافذة •
لم تكن سيلين قد استيقظت بعد • وكان روجيه يحك عينيه
ويتثاب :

- آه ! هذا أنت ...

كان ثمة تقدم • فلم تكن رائحة الاتير تغلب على جو الحجرة •
ووضعت الملابس فى أكوام فوق الأرض •

- ... ماذا تريد ؟

وجلس فوق السرير ، وتناول كوب ماء كان فوق منضدة
السرير وأفرغه دفعة واحدة •

- لقد عثر على الوصية !

أعلنها ميجريه وهو يغطى ساق سيلين العسارية ، التى كانت
تبرقد متكورة •

- وبعد ؟

لم يظهر روجيه أى انفعال ، اللهم الا فضولا غامضا •

- وبعد ؟ انها وصية غريبة ! لسوف يسيل لها مداد كثير •
ولسوف يجنى رجال القانون من ورائها أموالا طائلة •

تصور أن والدك ترك كل ثروته لنسائه الثلاث •

وبذل الشاب مجهودا لكى يستطيع أن يفهم •

- نسائه ... ؟

- أجل زوجته الشرعية الحالية • ثم والدتك ! وأخيرا عشيقته
« نين » ، التى كانت لاتزال جارتك حتى الأمس ! لقد كلف موثق
عقوده أن يقوم باللازم لكى تحصل كل منهن على نصيب مساو
للآخرين •

لم يحرك ذلك من روجيه ساكنا • كان يبدو عليه التفكير •
ولكنه ليس تفكيرا فى أمر يخصه شخصيا •

- الأمر واضح •

- قالها روجيه أخيرا ، بلهجة رزينة تتناقض مع الكلمات •
- هذا بالضبط ماقلته للعقيد •
- أي عقيد ؟
- قريب مدام كوشيه ••• انه يقوم الى جانبها بدور سيده
العائلة •••
- يجب أن يسحب بكرة !
- صدقت !
- وراح الشاب يخرج ساقيه من السرير ، ويتناول سروالا ملقى
فوق مسند أحد الكراسي •
- لا يبدو أنك تأثرت لهذا الخبر •
- أنا ، أنت تعلم •••
- كان يزور السروال ، وراح يبحث عن الماشطة ، ويوصد النافذة
التي كانت تسمح بدخول هواء شديد البرودة •
- ألسنت في حاجة الى المال ؟
- كان ميجريه قد تحول فجأة الى الجد • وغدت نظرتة ثقيلة •
فاحصة •
- لست أدري •
- ألا تدري ما اذا كنت في حاجة الى المال أم لا ؟
- فوجه روجيه الى المفتش نظرة غائمة ، فأحس ميجريه بضيق •
- أنا لا أهتم •••
- يبدو أنك تجنى من المال كثيرا !
- اننى لا أجنى درهما واحدا !
- وتشأب ، وتطلع الى نفسه فى المرأة عابسا • ولاحظ ميجريه
أن سيلين كانت قد استيقظت • لم تكن تتحرك ويبدو انها سمعت
شطرا من المحادثة ، لأنها كانت ترقب الرجلين بفضول •
- ومع ذلك فقد كانت هى الأخرى فى حاجة الى كوب المساء •

وكان جو الحجرة ، بقوضاها ، ورائحتها التفهة ، وهذين الكائنين
إحاملين ، أشبه شيء بعصارة مجتمع خائر العزم •
- هل تدخر شيئا من المال ؟

قبداً روحية يضيق بهذه المحادثة • وراح يبحث عن سترته •
وأخرج منها حافظة صغيرة ، وألقاها الى ميجريه •
- فتش !

كان بها ورقتان من فئة المائة فرنك ، وبعض أوراق النقود
الصغيرة ، ورخصة قيادة ، ووصل ملابس من الورق المقوى
القديم •

- ماذا تفعل اذا هضم حقلك في الميراث ؟
- أنا لا أريد ميراثا •
- ألن تطعن في الوصية ؟
- كلا !

رنت هذه الكلمة بطريقة غريبة • حتى أن ميجريه الذي كان
ينظر الى البساط ، رفع رأسه قائلاً :

- هل تكفيك ثلاثمائة وستون ألف فرنك ؟
عندئذ تغير موقف الشاب • فسار ناحية المفتش وتوقف على
بعد خطوة صغيرة منه ، حتى تلامست كتفاهما • ودمدم وهسو
يضغط على قبضتيه :
- مرة ثانية !

وهنا راح مسلكه يصطبغ بشيء من السوقية ! وكان موقفه
ينبئ عن الأحياء البلدية ، ومشاجرات الحانات •
- اننى أسألك عما اذا كانت الثلاثمائة والستون ألف فرنك
التي تخص كوشيه •••

واستطاع ميجريه بالكاد أن يوقف ذراع محدثه • والا لكان
تلقى لكمة من أقوى اللكمات في حياته !
- هدىء من روعك !

ولكن روجيه كان هادئا ! لم يكن يحاول أن يخلص نفسه !
كان شاحبا • ثابت النظرة • وكان ينتظر أن يتركه المفتش •

ألكى يعاود الضرب ؟ أما سيلين ، فكانت قد قفزت من فوق
السريو ، مع أنها كانت نصف عارية • وكانت تبدو مستعدة لفتح
الباب والاستغاثة •

لقد مر كل شيء فى هدوء • ولم يضغط ميجريه على رسغه
الا لثوان معدودات ، وعندما ترك له حرية التحرك ، لم يتحرك
الشاب •

وحلت لحظة طويلة من الصمت ، ظن الناظر أن كلا منهما يتردد
فى قطعها ، كأنهما فى معركة يتردد كل منهما فى أن يكون أول من
يضرب •

وأخيرا تكلم روجيه :

- انك تتدخل فى الأمور أكثر من اللازم !

والتقط من فوق الأرض عباءة بيت بنفسجية ، وألقاها الى
صاحبه •

- هل تسمح أن تخبرنى عما تنوى عمله ، عندما تنفق المائتى
فرنك ؟

- وماذا فعلت حتى الآن ؟

- ليس هناك الا اختلاف بسيط : والدك قتل ولن تستطيع
أن تطالبه بالمال ...

وهز روجيه كتفيه كمن يريد أن يقول ان محدثه لا يدرك من
الأمر شيئا •

واكتنف المكان جو لا يمكن وصفه • لم يكن جو مأساة بالمعنى
الحقيقى • وانما كان شيئا آخر يبعث عن التأثر ا ربما كان حسوا
بوهيميا بلا شعر ؟ ربما كانت تلك الحافظة وتلك المائتا فرنك ؟ ...

أو تلك المرأة القلقة ، التى تكشف لها حالا أن غدها لن يكون
شبيها بأيامها الخالية - وأن عليها أن تبحث لها عن سند جديد ؟

أو بالأحرى كلا ! انه روجيه نفسه الذى كان يثير الرعب ! لأن
أعماله وحركاته لم تكن تتفق وماضيه ، وتتناقض مع ما يعسرفه
ميجريه عن طباعه !

هدوءه . . . ولم يكن فى ذلك متصنعا ! . . . كان هادئا فعلا .

- اعطني مسدسك !

قالها المفتش فجأة .

فاخرجه الشاب من جيب فى سرواله ، وقدمه وعلى شفتيه ظل
ابتسامة .

- هل تعدنى بأن . . .

لم يكمل ، لأنه رأى المرأة على أهبة أن تصرخ فزعا . كانت
لاتدرك شيئا ، غير أنها كانت تشعر أن أمرا فظيحا يجرى .

وبدت السخرية فى عينى ميجريه .

كان الأمر أشبه بالهرب ولم يعد لدى ميجريه ما يقوله أو
ما يأتية . فتقهقر واصطدم عند خروجه بافريز الباب وهو يكتف
سبابه .

وفى الشارع ، كان قد فقد مزاجه المرح الذى كان يتمتع به فى
الصباح . ولم يعد يرى فى الحياة أى مسلك هزلى . ورفع رأسه
لكى يرى نافذة روجيه وصاحبته . كانت مغلقة . فلم ير شيئا .

كان معتل المزاج كما يحدث للمرء فجأة عندما يعجز عن الفهم .

لقد صدرت عن روجيه نظرتان أو ثلاث نظرات . . . لم يستطع
أن يفسرها . لم تكن تلك النظرات التى كان ينتظرها . . . كانت
نظرات لا تتفق وبقية ماجرى . . . وعاد أعقابه ، فقد نسى أن يسأل
فى الفندق عن عنوان «نين» الجديد . فقال له البواب :

- لا أعلم . لقد دفعت أجر حجرتها وانصرفت بحقيبتها !
لاداعى لعسرة أجرة . . . فيبدو أنها اختارت فندقا أرخص فى
الحي . . .

- من فضلك ... لو ... لو حدث شيء في الفندق ... أجل
شيء غير عادى ... فأرجوك أن تخبرنى شخصيا ، بالشرطة
القضائية ... ميجريه مفتش مباحث .

لقد حقد على هذا الاجراء . فماذا يمكن أن يحدث ؟ ولم يحل
ذلك دون أن يفكر فى الورقتين فئة المائة فرنك فى الحافظة ، ونظرة
سيلين الخائفة .

وبعد مضى ربع ساعة ، دخل ملهى « المولان بلو » من باب
الفنانين . كانت الصالة فارغة مظلمة ، وكانت المقاعد وحاشيات
المقصورات مبطنة بحرير أخضر .

وعلى خشبية المسرح ست نساء يرتعشن من البرد ، على
الرغم من معاطفهن ، لا يفتأن يكررن نفس الخطوة - خطوة من البساطة
بحيث تثير الضحك - بينما رجل بدين انبح صوته ، يصرخ مرددا
لحنا موسيقيا .

- واحد ! اثنان ! ... تراالالا ... كلا ! تراالالا
... ثلاثة ! ثلاثة ! ... ثلاثة ، يا الهى !

كانت نين هى ثانية النساء ... وقد عرفت ميجريه الذى كان
واقفا بالقرب من أحد الأعمدة . ورآها هو أيضا . ولكن الأمر كان
سيان بالنسبة له .

- واحد ! اثنان ! ... تراالالا ...

واستمر ذلك ربع ساعة . وكان الجو أشد برودة منه فى الخارج .
وكانت قدما ميجريه جامدتين من فرط البرد . وأخيرا جفف الرجل
جبينه ، وقذف فرقته بسبة عوضا عن التحية .

وصاح من بعيد مخاطبا ميجريه :

- أمن أجلى ذلك ؟

- كلا ! بل من أجل ...

واقتربت « نين » ضيقة ، تسائل نفسها عما اذا كان من الواجب
أن تصافح المفتش .

لدى خبر مهم ، جئت لأعلنك به •

- ليس هنا ... فنحن لا يحق لنا أن نستقبل أحدا في المسرح
... الا في المساء • لأن ذلك يستوجب دفع رسوم الدخول ••

وجلسا الى مائدة بار صغير مجاور •

- لقد عثروا على وصية كوشيه ... ترك ثروته كلها لثلاث
أقساء ... ونظرت اليه متعجبة دون أن تفتن الى الحقيقة •

- زوجته الأولى أولا ، مع أنها تزوجت من جديد ... ثم
زوجه الثانية ... ثم أنت ...

فظلت عينها مثبتتين على ميجريه الذي شاهد حدقتيهما
تتسعان ، ثم بمتلنان بالدموع • وأخيرا أخفت وجهها في يدها لكي
تبكي •

المرض

- كان مريضا بالقلب . وكان يعرف ذلك .
وابتلعت « نين » جرعة من خمر مشهى فى لون الياقوت .
- ولذلك كان لا يسرف فى صحته . كان يقول انه قد اشتغل
بمبا فيه الكفاية ، وان الوقت قد حان لكى يتمتع بالحياة . .
- هل كان يتحدث عن الموت احيانا ؟
- فى اغلب الاحيان ! . . ولكن ليس عن . . عن هذه الميتة ؟
كان يفكر فى المرض الذى اصاب قلبه .
اما الملهى فقد كان احد تلك البارات الصغيرة التى لا يتردد عليها
الا زبائنها . وكان صاحبه يتطلع الى ميجريه خلصة كأنه برجوازي
موثر . واما الخمارة ، كان الحديث يدور حول سباقات العصر .
- هل كان حزينا ؟
- هذا يصعب شرحه ! لانه لم يكن رجلا كفيره من الرجال .
فكان يحدث مثلا ان يكون فى المسرح ، او فى غيره من الاماكن
كان يلهو ، ثم اذا به يقول دونما سبب ، وهو يضحك عاليا :
- ما اقدر الحياة ، هيه ، نينيت ! . .
- هل كان يهتم بابنه ؟
- كلا . . .
- هل كان يتحدث عنه ؟
- تقريبا ابدا ! فقط عندما كان ياتيه ليساله مالا .
- وماذا كان يقول ؟

— كان يتنهد قائلاً : يا له من شقى مسكين ! ..
كان ميجرية قد أحس بذلك ، فليسبب أو لآخر ، قلما كان
كوشيه يشعر نحو ابنه بعاطفة . بل كان يبدو أنه أصيب من ناحيته
بنفور . نفور بلغ حدا لم يحاول معه أو ينقذه ! لأنه لم يكن يؤنبه
على الاطلاق ، بل كان يعطيه المال تخلصاً منه ، أو شفقة به .

— « جارسون » ! كم الحساب ؟

— أربع فرنكات ونصف !

وخرجت نين معه من الحان ، ولبثا لحظة على طوار شارع
« فونتين » .

— أين تقيمين الآن ؟

— شارع « لوبيك » أول فندق إلى اليسار . لم أعرف اسمه
بعد . انه مناسب ..

— عندما تصبحين ثرية ، سيكون في استطاعتك ..
فندت عنها ابتسامة ندية ..

— انت تعرف جيداً اننى لن اكون ثرية ما حييت ! فأنا لم اخلق
لذلك ..

الأغرب من ذلك هو أن ميجرية كان يشعر نفس الشعور ! لم
تخلق نين لكى تكون غنية فى يوم من الايام ! وهو لا يستطيع أن
يوضح لذلك سبباً .

— سأصحبك حتى ميدان بيجال ، وأركب الترام من هناك ..
وسارا الهوينى ، هو ، ضخماً ، ثقيلًا ، وهى ضئيلة ، الى
بجانب ظهر صاحبها العريض .

— آه لو علمت ما أقاسيه فى وحدتى ! ولحسن الحظ هناك
المسرح ، « بروفتان » كل يوم ، فى انتظار الاستعراض الجديد ..
كان عليها أن تخطو خطوتين لكل خطوة من ميجرية ، حتى
أنها كانت تجرى تقريبا وعند زاوية شارع بيجال ، توقفت فجأة ،
بينما ضيق الفتش ما بين حاجبيه ، وراح يدمدم قائلاً :

- القبي ؟

ومع ذلك فلم يكن الناظر ليستطيع ان يرى شيئاً . كان فى مواجهة فندق بيجال جمع من نحو أربعين شخصا . وعند عتبة الباب ، شرطى يحاول ان يساعد الناس على المرور .

كان هذا كل ما فى الامر ! غير ان المكان كان يكتنفه ذلك الجو الخاص ، ذلك الصمت الذى لا يخيم على الشوارع الا عند وقوع المصائب . فتلجلجت نين وهى تقول :

- ماذا جرى ؟ .. فى الفندق الذى انزل فيه ا ..

- كلا ! لا شيء ! عودى انت ..

- ولكن ... اذا ..

فقال ميجريه بطريقة آمرة جافة :

- عودى انت !

فأطاعت ، خائفة ، بينما راح المفتش يمهد لنفسه طريقا بين الجمهور . كان يدخل بينه كالكبش . فراحت بعض النساء بمطرنه بالسباب . وعرفه شرطى المدينة وأدخله فى دهليز الفندق .

وكان مفتش القسم موجودا هناك ، يتحدث الى البواب الذى صاح وهو يشير الى ميجريه :

- ها هو ذا ! .. اننى اعرفه ..

وتصافح رجلا الشرطة .. وكانت ثمة أصوات عويل ، وائين وتمتمة مبهمه تاتى من حجرة استقبال صغيرة تفضى الى الردهة . فسأل ميجريه قائلا :

- كيف حدث هذا ؟

- ان الفتاة التى كانت تعيش معه صرحت بأنه كان يقف امام الناقدة ، هادئا للغاية . كانت هى ترتدى ملابسها . اما هو فكان يتطلع اليها وهو يصفر .. ولم يتوقف عن صفيه الا لكى يقول لها : ان لها فخذين جميلتين ، لكن ساقها شديدا النحافة ..

ثم عاد الى صغيره .. وفجأة لم تعد تسمع شيئاً .. فافلتها
احساس بالفراغ .. فنظر حيثما كان ، ولكنه لم يكن موجوداً ! ..
وكان مستحيلاً أن يكون قد خرج من الباب ..

- مفهوم ! ألم يصب أحداً عند سقوطه فوق الطوار ؟
- أبداً ! مات مباشرة ! تحطم العمود الفكري في مكانين
مختلفين .

وهنا أتى شرطى المدينة يعلن أمراً :

- هاهم !

وراح مفتش القسم يشرح الأمر لميجريه :

- انها سيارة الاسعاف .. فلم يكن أمامنا غير هذا الاجراء ..
هل تعلم أن هناك عائلة يمكن اخبارها ؟ عندما وصلت ، كان
البواب يقول لى أن الشاب تلقى زيلرة فى هذا الصباح .. قام بها
رجل طويل قوى .. وكان يصف لى هذا الرجل فى اللحظة التى
وصلت أنت فيها ! فكنت أنت المعنى بالحديث ! هل من الواجب
أن أقوم بكتابة تقرير ، أم أنك ستتكفل بكل شئ فى الموضوع ؟

- قم بعمل تقرير !

- وموضوع العائلة ؟

- سأتكفل أنا به .

ودفع باب حجرة الاستقبال ، فرأى شيئاً ممدداً على الأرض
يختفى تماماً تحت غطاء أحد الأسرة .

وكانت سيلين تجلس خائفة فى أحد الكراسى ، تصدر عويلاً
منتظماً ، بينما سيدة ضخمة ، هى صاحبة الفندق أو مديرة ،
تفرط فى مواساتها .

- الأمر يختلف عما إذا كان قتل نفسه من أجلك ، اليس كذلك ؟
لم يكن لك فى الموضوع حول ولا قوة .. أنك لم ترفض له شيئاً
على الإطلاق .

ولم يرفع ميجريه الغطاء ، بل انه لم يظهر لسيلين .

ومضت بضع لحظات ، أتى المرضون بعدها فحملوا الجثة الى
عربة الاسعاف التي تحركت صوب معهد الطب الشرعى .

عندئذ راح جمهور شارع بيجال يتشتمت رويدا رويدا . وكان
من بقى من الفضوليين لا يدرون ما اذا كان الأمر حريقا ، أم انتحارا
أم هو القبض على سارق باطلاق النار عليه .

— كان يصفر .. وفجأة لم أعد أسمع شيئا .

كان ميجرية يصعد سلم ميدان الفوج ، بطيئا ، بطيئا . وكلما
كان يقترب من الطابق الثانى ، كان وجهه يزداد تقطيبا .

كان باب ماتيلد العجوز منفرجا ، وربما كانت المرأة مترصدة
وراءه . ولكنه هز كتفيه ، وشد الحبل الذى يتدلى أمام باب
آل مارتان .

كان غليونه بين شفتيه ، وفكر لحظة فى أن يضعه فى جيبه
ثم راح يهز كتفيه ، مرة أخرى ، ثم سمع أصوات زجاجات تصطك
وهمهمة مبهمه . وصوت رجلين يقتربان ، وأخيرا سمع فتح
الباب .

— أجل ، يادكتور .. أجل ، يادكتور .. شكرا ، يادكتور .
كان السيد مارتان خائرا ، لم يستطع بعد أن يقوم بزينته ،
ورآه ميجرية على حاله التى تدعو للشفقة ، والتى كان عليها فى
الصباح .

— اهذا أنت ؟

وتوجه الطبيب ناحية السلم ، بينما راح السيد مارتان يدخل
المفتش ، ويلقى نظرة خاطفة فى حجرة النوم .

— هل ساءت حالها ؟

— لاندرى .. ان الطبيب لا يريد أن يقرر .. سيعود هذا
المساء ..

وتناول تذكرة طبية من فوق جهاز اللاسلكى ، وثبت عليها
عينيه الفارغتين .

- ليس لدى احد لكى يذهب الى الصيدلى !

- ماذا حدث ؟

- تقريبا نفس ماحدث فى تلك الليلة ، ولكن بطريقة اشد .
فقد شرعت ترتعد ، وتهذى بالفاظ لاتفهم . . فأرسلت فى طلب
الطبيب الذى وجد ان حرارتها تبلغ أربعين درجة .

- اهى تهذى ؟

- مادمت اقول لك اننا لا نفهم ما تقول ! . يلزمنا ثلج ، وجهازا
كاوتشوك لكى نضع الثلج فوق جبينها .

- هل تحب ان اظل هنا حالما تأتى من عند الصيدلى ؟

وكاد مارتان يرفض . . ثم استسلم للأمر .

وارتدى معطفا ، وانصرف وهو يتحرك بطريقة محزنة ، تشبه
الضحك . ثم عاد اعقابه لانه كان قد نسي ان يأخذ معه نقودا .

لم يكن لميجريه أى غرض من بقاءه فى الشقة . فلم يهتم بشيء
ولم يفتح درجا ، بل لم يحاول ان ينظر الى كومة من الخطابات
كانت موضوعة فوق احدى قطع الاثاث . كان يسمع التنفس غير
المنتظم الذى يصدر عن المريضة ، التى كانت تطلق من آن لآخر
زفرة طويلة ، ثم تهذى بالفاظ مبهمه .

وعندما رجع السيد مارتان ، وجده فى نفس المكان .

- هل احضرت كل مايلزم ؟

- اجل . . شىء فظيع ! والمكتب الذى لم اخطره !

وعاونه ميجريه فى تكسير الثلج وادخاله فى الجيب الكاوتش
الأحمر . .

- ألم تتلق زيارات فى هذا الصباح ؟

- نعم . . نشرات .

كان جبين مدام مارتان يفيض عرقا ، وشعرها الذى خطه
الشيب يلتصق بخديها . وزال لون شفيتها ، أما عينها فقد كانتا

لا تزالان تفيضان حياة بطريقة عجيبة . اتراهما تعرفتا على ميجريه
الذى كان يمسك بالجهاز فوق رأس المريضة ؟ لا تظن . ولكنها
كانت تبدو هادئة بعض الشيء . وكان الكيس الأحمر فوق جبينها
وعلى هذه الحال ، لبثت ثابتة لا تتحرك وهى تتطلع الى السقف .
وسحب المفتش السيد مارتان من يده ودخلا حجرة الطعام .
- مندى انباء كثيرة اريد ان اخبرك بها .

- آه .. !

قالها مارتان برجفة قلق .

- لقد عثر على وصية كوشيه . لقد ترك ثلث ثروته لزوجتك .
- كيف .. ؟

كان الموظف يضطرب ، مذهولا ، لهذا الخبر .

- تقول انه ترك لنا ؟ ..

- ثلث ثروته ! ومن المحتمل الا يتم الموضوع بسهولة . فقد
تعارض زوجته .. لانها من جانبها لن تحصل الا على ثلث الثروة ،
اما الثلث الاخر فسيؤول الى شخص اخر ، هى عشيقه كوشيه
الاخيرة ، امرأة تدعى « نين » ..

علام هذا الحزن الذى يبدو على مارتان ؟ انه اكثر من حزن !
انه ذعر ! ان الناظر ليظنه مبتور اللرايين والساقين ! انه يمعن
النظر فى الارض عاجزا عن السيطرة على نفسه .

- اما الخبر الاخر فهو اقل بهجة . وهو يتعلق بابن زوجتك .

- روجيه !

- لقد انتحر هذا الصباح ، بالقاء نفسه من نافذة حجرته .

بشارع بيجال ..

هندل ، راي المفتش مارتان القصير يشب على عقبيه ، وينظر
اليه فاضيا ، ساخطا ، وهو يعوى قائلا :

- ماذا تقول ؟ انك تريد ان تجننى ، اليس كذلك ؟ اعترف

بان هذا كله انما هى خيلة لكى تدفعنى الى الكلام !

- لا ترفع صوتك هكذا ! زوجتك .
- الأمر عند سيان ! .. انك تكذب ! .. هذا مستحيل ..
وأصبح من الصعب أن يتعرف الناظر على السيد مارتان ..
لقد فقد حياؤه تماما مرة واحدة ، وفقد معه تلك التربية المهذبة
التي طالما تعلق بها .

وكان مما يشير فضول الناظر أن يتطلع الى وجهه المفكك ،
وشفتيه اللتين ترتعدان ، ويديه اللتين تضطربان فى الفضاء .
فأكد له ميجرية قائلا :

- أقسم لك أن هذين الخبرين رسميان ..
- ولكن لماذا يفعل ذلك ؟ . انه لأمر يؤدي الى الجنون ! . ومع
ذلك فان ما يحدث الآن فيه الكفاية ! . فزوجتي فى طريقها الى
الجنون ! . لقد رأيتها أنت ! . واذا استمرت هذه الحال ، فسأجن
انا أيضا .. سنصبح كلنا مجانين ! .
واكتنفت نظرتة حركة سقيمة . كان قد فقد كل سيطرة على
نفسه .

- ابنا الذى يلقى بنفسه من النافذة ! . والوصية ! .
كانت كل ملامح وجهه متقلصة ، وفجأة ، حلت أزمة من
الدموع ، حزينة ، مضحكة ، بفيضة .
- أرجوك ! . هدىء من ووعك .

- حياة بأسرها .. اثنان وثلاثون عاما .. كل يوم .. الساعة
التاسعة .. دون أدنى تأنيب .. كل ذلك لكى ..
- أرجوك ، تذكر أن زوجتك تسمعك ، وانها مريضة جدا ..
- وأنا ؟ . هل تعتقد اننى لست مريضا ، أنا ؟ . هل تعتقد
اننى سأتحمل مثل هذه الحياة طويلا ؟ .

لم يكن رأسه ليتحمل البكاء ، وهذا ماكان يجعل لدموعة
تأثيرا .

- أنت لا دخل لك فى الموضوع ، اليس كذلك ؟ وهو لا يعدو
ابن زوجتك . . وانت لست مسئولا ..

وتطلع مارتان الى المفتش ، وقد هدا فجأة ، ولكن هذا لم
يدم طويلا .

- أنا لست مستولا . . .

ثم استشاط غضبا .

- ولكن هذا لا يمنع كونى هدفا لكل المضايقات ! فها هنا
تأتى أنت فتقص الحكايات ! وعلى السلم ، ينظر الى السكان
شذرا . . . وأؤكد انهم يظنون اننى قتلت كوشيه هذا ! . اكيدا ! ،
وفوق ذلك ، فماذا يثبت لى انك لا ترتاب فى أنت أيضا ؟ فماذا
جئت تفعل هنا ؟ . ها ! . ها ! . انك لا تجيب ! . فأنت لا تجرؤ
على الاجابة . . يختارون الأضعف ! . رجلا عاجزا عن الدفاع عن
نفسه ! . وزوجتى مريضة . . و . . .

وبينا هو يشير بيديه ، اذا بمرفقه يصطدم بجهاز اللاسلكى
الذى راح يتمايل ، ويهوى على الأرض ، فيتحطم مصدرا فرقعة
اشبه بفرقعة المصابيح الكهربائية التى تتحطم . عندئذ عاد الموظف
الصغير الى الظهور :

- مركز يدر ألفا ومائتين من الفرنكات . . ظلت فى انتظاره
ثلاث سنوات قبل أن أحصل عليه .

ووصلت انة من الحجرة المجاورة ، فأرهب السمع ، ولكنه
لم يتحرك .

- الا تحتاج زوجتك الى شيء ؟

كان ميجرية هو الذى ينظر فى الحجرة ، وكانت مدام مارتان
لاتزال راقدة ، فتلقى المفتش نظرتها لكنه كان عاجزا عن تحديدها
أهى نظرة ذكاء حاد ، أم نظرة قلقة بتأثير الحمى .
لم تحاول أن تتكلم . وتركته ينصرف .

وفى حجرة الطعام ، أسند مارتان مرفقيه الى خزانة صغيرة
وتناول رأسه بين يديه وراح يمعن النظر فى الفرش ، على بعد
سنتيمترات من وجهه .

- لماذا ينتحر ؟

- افترض مثلا أنه هو الذي . . .

وحل الصمت ، ثم سمع صوت أزيز ، وفاحت رائحة «شياطين»

نفاذة . ثم يتنبه لها مارتان . فسأل ميجرية إقائلا :

- هل هناك شيء على النار ؟

ودخل المطبخ الذي كان أزرق من البخار ، فوجد على موقد النار سطلا من لبن سال مافيه ، وأصبح يهدد بالانفجار . فأغلق صنبور الجهاز ، وفتح النافذة فرأى فناء العمارة ، ومعمل أمصال الدكتور رفير ، وعربة الدكتور واقفة أسفل السلم ، واستطاع أن يسمع تكتكة الآلات الكاتبة ، داخل المكاتب .

وإذا كان ميجرية يتلصقا في المطبخ ، فلم يكن ذلك بلا داع . لقد أراد أن يدع لمارتان فسحة من الوقت يهدأ فيها ، ويستعيد ثباته ، فراح يحشو غليونه في بطة ، ويشعله من مصباح معلق فوق الموقد . وعندما عاد الى حجرة الطعام ، لم يكن مارتان قد تحرك من مكانه ، ولكنه كان قد هدا . فانتصب متنهدا ويبحث عن منديل ، وتمخط بصوت مرتفع .

- يبدو أن ذلك سينتهي نهاية سيئة ، اليس كذلك ؟

فأجاب ميجرية :

- هناك قتيلان . . . !

- قتيلان . .

انه لجهود . مجهود ضخم ، ذلك الذي بذله مارتان ليظل مسيطرا على أعصابه بعد أن كان على وشك الانفعال من جديد .

- في هذه الحالة أعتقد أنه يستحسن . .

- أنه يستحسن . . . !

كان المفتش لا يكاد يتكلم . كان يحبس أنفاسه . كان يحس بضيق بطبق على صدره ، لأنه كان يشعر أنه قريب من الحقيقة .

- أجل - دمدم بها مارتان لنفسه - ليكن ! . فلا مفر . .

لا مفر . .

ومع ذلك فقد سار بطريقة آلية حتى البسبب المفتوح ، ناب
بحجرة النوم ، وغطس نظرتة فى الحجرة .
وظل ميجريه ينتظر ، ثابتا ، صامتا .

لم يقل مارتان شيئا ، ولم يسمع صوت زوجته ، ولم يمنع
لذلك أن شيئا ما كان يبدو أنه يجرى .

واستمر الحال طويلا ، فبدأ المفتش يفقد صبره .
- وبعد ؟

فتحول الرجل ناحيته ، فى بطء ، بوجه جديد .
- ماذا ؟

- كنت تقول أن ...

فحاول مارتان أن يتسهم .
- أن ماذا ؟

- أنه يستحسن ، لتجنب مأس جديدة . .

- أنه يستحسن ماذا ؟ . . .

ومر بيده فوق جبينه ، كشخص يجسد صعوبة فى إثارة
ذكرياته .

- أنا آسف ! اننى مضطرب . .

- لدرجة أنك نسيت ماكنت تريد أن تقوله ؟

- أجل . . لم أعد أدري . . انظر ! . انها نائمة . .

كان يشير الى مدام مارتان التى أغلقت عينيها ، وغدا وجهها
أحمر قانيا ، ربما بسبب وضع الثلج فوق جبينها .

- ما الذى تعرفه ؟

وجه اليه ميجريه هذا السؤال بلهجة من يخاطب شخصا
مشبوها على قدر كبير من الحذق .

- أنا ؟

وبعد هذا الاستفسار أصبحت كل الاجابات من هذا النوع !

الذى نطلق عليه « استعباطا » .

١- كنت على وشك أن تخبرني بالحقيقة .
- الحقيقة ؟

- هيا ! لا تحاول أن تبدو عبيطا . أنت تعرف قاتل كوشيه .
- أنا ؟ أنا أعرف ؟ . . .

إذا كان مارتان لم يتلق في حياته صفة واحدة ، فقد كان
أقرب قوسين أو أدنى من صفة ساخنة يتلقاها من يد ميجرية .
أما ميجرية فكان يضغط على فكيه وينظر الى المرأة الساكنه
التي كانت نائمة أو كانت تنظاهر بالنوم ، ثم الى الرجل الذي
لا يزال جفناه منتفخين ، وملامحه مشدودة بتأثير الأزمة للسياسة
وشاربه مدلى .

- هل تتحمل مسئولية مايمكن أن يحدث ؟

- ماذا يمكن أن يحدث ؟

- أنك مخطيء ياسيد مارتان !

- مخطيء لماذا ؟

ماذا حدث ؟ ان الرجل الذي كان على أهبة الكلام ، ظل
دقيقة بين الحجرتين ، وعيناه مثبتتان على سرير زوجته ، ولم
يسمع ميجرية شيئا ، ولم يتحرك مارتان . والآن ، هاهي ذى تنام !
وهو يتظاهر بالبراءة !

- اننى اعتذر لك . . . اعتقد اننى أفسد صوابى فى بعض

الأحيان . . . وأنت لا تنكر أن الأمر يبعث على الجنون . . .

ولم يمنع ذلك أنه ظل حزينا ، بل مغموما . كانت تبدو عليه
هيئة شخص محكوم عليه . وكانت نظراته تحاول أن تتجنب وجه
ميجرية ، وتتنقل بين الأشياء العادية ، وأخيرا تعلقنا بجهاز
اللاسلكى . فشرع يلتقط أجزاءه ، وقد انحنى على الأرض موليا
ظهره للمفتش :

- متى سيعود الطبيب ؟

- لا أدري .. لقد قال « هذا المساء » ..

فخرج ميجريه تاركاً الباب يصطك خلفه ، فوجد نفسه وجهاً لوجه أمام ماتيلد المحوز التي فرغت لذلك حتى أنها لبثت ساكنة وقد ففرت، فاها .

- اليس لديك ماتقولينه لى ، أنت ؟ هيه ؟ هل ستدعين أيضاً أنك لاتعلمين شيئاً ؟ ..

وحاولت أن تستعيد ثباتها ، فأدخلت يديها تحت مئزرها ، فى حركة آلية لربة بيت عجوز .
- تعالى ندخل عندك ..

فسارت تزحلق نعلى اللباد فوق الأرض ، وترددت فى دفع بابها المنفرج .
- هيا ! ادخلى ..

ودخل ميجريه بدوره ، وأعاد اغلاق الباب بضربة من قدمه ، ولم يوجه نظرة واحدة الى اللجنونة التي كانت تجلس أمام النافذة .
- والآن تكلمى ! .. مفهوم ؟ ..
وتداعى بكل ثقله فوق أحد الكراسى .

صاحب المعاش

أولا ، انهما يقضيان حياتهما فى عراقك !

لم يتحرك لميجريه ساكن . لقد غاص حتى رقبته فى كل هذه القدارة اليومية ، التى تبعث على الاشمئزاز اكثر من المأساة نفسها .

وامامه العجوز ، يبدو عليها تعبير مخيف عن الابتهاج والتهديد . كانت تتكلم وتنوى ان تتكلم ثانية ! عن بفض لال مارتان ، وللقتيال واسكان البيت جميعا ، وعن بفض للانسانية جمعاء ! وعن بفض للميجريه نفسه ! .

كانت لاتزال واقفة ، ويداها مضمومتان فوق بطنها الضخم الطرى ، ويظن الناظر انها ظلت حياتها فى انتظار هذه اللحظة . لم يكن ما يطفو على شفثيها ابتسامة . وانما هو الاغتياب الذى كان يديبها !

- « اولاً » انهما يقضيان حياتهما فى عراقك .

كان لديها وقت . كانت تقطر جملاها تقطيرا . وكانت تعطى نفسها قسحة من الوقت لكى تعبر عن ازدرائها للناس الذين يتعاركون .

- ولا حتى مثل لمامى الخرق ! وهذا الوضع يرجع الى فترة طويلة ! حتى اننى تساءلت كيف لم يقتلها حتى الان .

- آه : هل كنت تتوقعين ان ؟ .

- عندما يعيش المرء فى منزل كهذا ، فيجب أن يتوقع كل شيء ..

كانت متنبهة الى نفمات صوتها . فهل كانت أبعث على البفض من السخرية ، أم أبعث على السخرية من البفض ؟

كانت الحجرة فسيحة . وكان بها سرير منكوش ، عليه ملاءات ومادية يبدو أنها لم تتعرض للهواء الطلق أبدا . ومنضدة ، ومراة قديمة ، وموقد .

وفى كرسى-موسد ، تجلس المجنونة ، التى كانت تنظر أمامها ، وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة رقيقة .

وسأل ميجرية :

- لامؤاخذة ! . هل تتلقين زيارات فى بعض الاحيان ؟

- لا ! ! .

- واختك الا تخرج من هذه الحجرة ؟

- احيانا ، تفر الى السلم . .

رائحة تبعث على القنوط . رائحة فقر قدر ، رائحة هرم ، وربما رائحة موت .

- لاحظ ان الزوجة هى التى تهاجم دائما !

كان ميجرية يملك من القوة ما يكفى توجيه السؤال اليها . كان ينظر بغموض . كان ينصت لها .

- من اجل مسائل تتعلق بالمال ، طبعا ! . وليس من اجل مسائل تتعلق بها كامراة . . مع أنها ذات مرة ، وهى تقوم بحساباتها ، افترضت انه ذهب الى منزل خصوصى ، فتلون وجهه مائة لون . .

- هل تضربه ؟

كان ميجرية يتحدث بلا سخرية . لم يكن اقتراضه هذا اكثر هزما من غيره . كان يسبح فى بحر من الاما حبيب حتى ان اى شيء لم يكن ليثير الدهشة .

- لا اعرف ما اذا كانت تضربه أم لا ، ولكن ، على كل ، فهي
تكسر الاطباق . . ثم تبكى ، قائلة انها لن تستطيع ان تحصل على
بيت مناسب . .

- باختصار ، هل يحدث فى كل يوم فضائح من هذا
القبيل ؟

- ليست فضائح كبيرة ! وانما بعض التوبيخ والتأنيب . وفى
الأسبوع فضيحتان أو ثلاث فضائح كبيرة .

- وهذا يعطيك فرصة للعمل !

لم تكن واثقة أنها فهمت ونظرت اليه بقليل من القلق .

- ماهى التأنيبات التى توجهها اليه فى اغلب الأحيان ؟

- عندما لا يملك المرء ما يعول به امرأة ، فانه لا يتزوج !

- لا يصح لرجل ان يخدع امرأة فيجعلها تعتقد انه سيثرى . .
بينما الحقيقة غير ذلك .

- ان المرء لا يسمح لنفسه بالاستحواذ على امرأة من رجل مثل
كوشيه ، قادر على كسب الملايين . .

- ان الموظفين جبناء . . فيجب ان يعمل المرء بنفسه ، وأن يكون
محباً للمخاطرة ، والمبادرة ، اذا أراد ان يحصل على شىء . .

مسكين مارتان ، بقفازه ، ومعطفه ، وشاربيه المشممين
بالدهان .

واستطاع ميجريه ان يتخيل كل الجمل التى كانت تلقى بها
زوجته فوق رأسه ، مطرا دقيقا ، أو سيلا غزيرا .

ومع ذلك ، فقد قام بما يستطيع ان يقوم به : ومن قبله ، كان
كوشيه هو الذى يتلقى هذا التأنيب والتوبيخ . لا بد انها كانت
تقول له :

« انظر الى السيد مارتان ! انه لرجل ذكى ! وهو يفكر انه ربما
يتزوج ، فى يوم من الأيام ولسوف تتسلم زوجته معاشا لو حدث
له شىء ! بينما أنت . . »

كان هذا كله يبدو في صورة تهمة جسيمة ! لقد خدعت مدام
مارتان نفسها ، وخدعها الغير ، وخدعت الناس جميعا !

كان هناك خطأ مروع هو أساس كل شيء !

فقد كانت ابنة حلواني « سان مور » تريد المال ! هذا امر قد
تقرر ! وكان هذا الامر يمثل ضرورة ! وكانت هي تشعر بذلك ! لقد
ولدت لكي تحصل على المال ، ونتيجة لذلك ، فقد كان على زوجها
أن يجني المال

اكان كوشيه لايجنى مالا كافيا ؟ ولن يكون لها معاشن لو مات ؟
لقد تزوجت من مارتان ! هذا كل مافى الامر !

كل ملاهناك ان كوشيه هو الذى اثرى باللايين بعد فوات
الوان ! . ولم يكن من الممكن تركيب أجنحة لمارتان لو لم يكن من
الممكن دفعه الى ان يترك مكتب التسجيل وأن يعمل هو الآخر فى
بيع الأمصال أو أى شيء يدر الربح !

كانت شقية ! كانت دائما شقية ! وكانت الحياة تلهو بخداعها
بطريقة شنيعة !

كانت عينا العجوز الخضراوان الضاربتان الى الزرقة ، مشبتين
على ميجريه ، كانتا كعيتى قريص البحر .

- وهل كان يأتى ابنها لزيارتها ؟

- أحيانا .

- وهل كانت تلومه وتؤنبه هو الآخر ؟

ولا يفيب عنا ان العجوز ظلت تنتظر هذه اللحظة سنوات
وسنوات ! . لم تكن بها عجلة ! . كان أمامها فسحة من الوقت ! .
- كانت تقدم له النصح . .

« أبوك غنى ! وكان عليه أن يخجل لانه لم يدبر لك مركزا مرموقا!
انك حتى لاتملك سيارة . . فهل تعرف من السبب ؟ انها تلك المرأة
التي تزوجته من أجل ماله ! . لانها لم تتزوجه الا من أجل ذلك ! .
« مع غض النظر عن أن الله وحده يعلم ما بعد لك فى المستقبل .
فهل تظن أنك ستحصل على شيء من الثروة التي تخصك ؟ . .

« لذلك فيجب عليك الآن أن تستحوذ على المال ، وأن تدخره
في مكان أمين . . »

« سأحفظه لك ، أنا ، لو أردت . . ها ! . هل تحب أن أحفظه
لك . . ؟ »

وكان ميجريه ، وهو يتطلع الى الأرض القلدة . . يفكر ،
ورأسه في ثورة . .

كان يعتقد أنه توصل ، في هذا الخليط من الاحساسات ، الى
احساس سائد ، ربما ولد بقية الاحساسات الاخرى : انه القلق !
قلق وبيل ، يبعث على السقم ، ويقترب من الجنون . .

كانت مدام مارتان تتحدث كثيرا عما يمكن ان يقع : موت الزوج ،
والشقاء الذي ستلقاه اذا لم يترك لها معاشا . . وكانت تشفق
على ابنها من هذا الشقاء . .

كان الامر اشبه بكابوس مخيف ، او بفكرة ملكت عليها دنياها .
- وبم كان يجيبها روجيه ؟

- كان لا يلبث طويلا ! . كان يبدو ان لديه أعمالا أهم في
الخارج . .

- وهل حضر يوم الجريمة ؟
- لست أدري . .

ومن ركنها ، كانت المجنونة ، وهي في مثل هرم ماتيلد ، لا تزال
تتطلع الى المفتش وهي تبسم ابتسامة جذابة .

- وهل دار بين مارتان وزوجته في ذلك اليوم نقاش أكثر أهمية
من المعتاد ؟

- هل نزلت مدام مارتان في حوالي الثامنة مساء ؟
- لم اعد أذكر ! . انني لا أستطيع ان اظل طوال الوقت في

المر . .

هل كان ذلك عدم ادراك ، هل كان سخرية فائقة ؟ . علي كل ،
لقد كانت تحتفظ بشيء لم تصرح به . وكان ميجريه يشعر بذلك .
ان الصديد كله لم يخرج تماما ! .

- فى المساء ، تعاركنا . .

- لماذا ؟

- لست أدري . .

- ألم تسميهما ؟

- لم تجب . وكان تعبير وجهها يقول :

- هذا شيء يخصنى !

- وماذا تعرفين أيضا ؟

- أعرف لماذا مرضت !

وكان هذا هو الفوز ! . كانت يداها ترتجفان ، ولا تزالان
مضمومتين فوق بطنها .

كان هذا غاية طريق بأسره .

- لماذا ؟

كان هذا السؤال يتطلب تلذذا .

- لأن . . انتظر حالما أسأل اختى عما إذا كانت فى حاجة الى

أى شيء . . « فانى » ألسنت ظمأى . . جوعى ؟ . اليس ساخنا
جدا ؟ . .

كان موقد الزهر أحمر تماما ، فراحت العجوز تسعى فى الحجرة
وهى تزلق على نعلها المصنوعين من اللباد ، واللذين لا يصدران
أية ضوضاء .

- لأن ؟

- لأنه لم يحضر النقود !

لقد تهجت هذه الجملة واتبعتها بصمت نهائى . انتهى كل شيء
لقد عرضت عن الكلام ! لقد قالت ما فيه الكفاية .

- أية نقود ؟

مجهود ضائع فاتها لن تجيب على أى سؤال .

- هذا شيء لا يخصنى ! . لقد سمعت هذا . . ولتفعل أنت به

ما تريد . . والآن حان الوقت لى أعتنى بأختى . .

وانصرف ؟ تاركا وراءه العجوزين منصرفتين الى امور لا يعلمها
الا الله .

لقد اعتل ذلك .. وتقلب قلبه ، كما لو كان اصابه دوان
البحر .

« لم يحضر النقود .. »

الا يمكن تفسير ذلك ؟ لقد قرر مارتان ان يسرق الزوج الاول
ربما لكيلا يلام على وضاعته .. وراته هي من النافذة .. وخرج
هو بثلاثمائة وستين ورقة .. ولكنه عندما عاد ، لم تكن النقود
معه ! فهل وضعها في مكان أمين ؟ أم سرق هو بدورِهِ ؟ أم تملكه
الخوف فتخلص من هذه النقود بالقائها في نهر « السين » ؟ وهل
قام بالقتل ؟ هو ، السيد مارتان الضئيل ، ذو المعطف المطاط ؟

لقد أراد ان يتكلم منذ برهة . وكان الارهاق الذي يشعر به
هو ارهاق شخص جان لم يعد يجد في نفسه القوة لكي يلزم الصمت ،
ويفضل السجن فورا عن قاق الانتظار .

ولكن لماذا كانت زوجته هي التي مرضت ؟

وبالأخص لماذا كان روجيه هو الذي انتحر ؟

ثم ، اليس خيا ميجريه هو الذي صور كل هذا ؟ لماذا لا يرتاح
في « نين » ، أو في مدام كوشيه ، أو حتى في العقيد ؟

وبينما كان المفتش ينزل السلم ، اصطدم بالسيد سان - مارك
الذي كان عائدا من الخارج .

- آه ! هذا أنت ..

ومد له يدا مجاملة .

- أئمة جديد ؟ .. هل تتفقد ان الموضوع سينتهي ؟ ..

ومن فوق ، سمعت صرخة المجنونة ، التي لا بد ان تكون اختها
قد تركتها لكي تذهب فتتخذ مخفرا خلف احد الابواب ؛

كانت جنازة رائعة . اشترك فيها كثير من علية القوم . وبخاصة عائلة مدام كوشيه وجيران شارع الهوسمان .

لم يكن يشد عن المجموع الا اخت كوشيه ، التي كانت تسير في الصف الاول ، مع انها عملت المستحيل لكي تبدو انيقة . كانت تبكي . وكان لها بوجه خاص طريقة مزعجة في التمشط ، كانت تستجلب لها في كل مرة نظرة ساخطة من حماة القتل .
وخلف العائلة مباشرة ، كان موظفو معامل الامصال .

وكانت ماتيلد العجوز تسير مع الموظفين في كبرياء ، واثقة من نفسها ومن حقها في الحضور . وكان ثوبها الاسود لا يصلح الا لذلك :
« . . . تشييع الجنازات ! وتلاقت نظرتها مع نظرة ميجرية . فتنازلت واومات له ايماء خفيفة .

كانت تتدفق اصوات الاراغن وصوت المرتل الجهر ، وصوت الشماس الحاد : « ولاتدخلنا في تجربة . . » وسمعت ضوضاء كراسي تتحرك . وكان النمش عاليا ، ومع ذلك فقد كان يختفى تحت الزهور والاكاليل .

« سكان المنزل رقم ١١٠ ميدان الفوج » .

ويبدو ان ماتيلد دفعت حصتها في الاكليل . فهل سجل آل مارتان اسمهما في قائمة المساهمين ، هما ايضا ؟
لم ير احد مدام مارتان . فقد كانت لاتزال في سريرها .

« خلصنا ، يارب . . » وحن موعد صلاة الجنازة . النهاية .
فتقدم رئيس التشريفات الذي كان يقود الركب في بظء . وفي احد الاركان ، بالقرب من كرسي اعتراف ، لمح ميجرية « نين » وكان انفها احمر قابيا دون ان تكلف نفسها مشقة معالجته بدرجة من المستحوقا
قالت :

- شيء قطيع ، اليس كذلك ؟

- ما هو القطيع ؟

- كل شيء ! لست أدرى ! هذه الموسيقى .. ورائحة الأقحوان
هذه ..

كانت تعض شفتها السفلى لكي تحبس زفرة .
- وكما تعلم .. لقد فكرت طويلا .. ايه حسن ! ويحدث ان
اقول لنفسي ان قلبه كان يحدثه ..
- هل ستذهبن الى القبر ؟

- ما رايك ؟ من الممكن ان يروني هناك ؟ .. قد يكون من الافضل
الا اذهب . ومع ذلك فانتى احب ان اعرف المكان الذى سيودعونه
فيه .

- يكفى ان تسالى الحارس .

- اجل ..

كانا يتهامسان . كانت خطوات آخر الحاضرين تخف فى الجهة
الأخرى من الباب . وشرعت بعض العربات فى المسير .
- كنت تقولين ان قلبه كان يحدثه ؟

- ربما ليس لانه سيموت بهذه الطريقة .. ولكنه كان يدرك
انه لن يعمر طويلا .. فقد كان مصابا بمرض خطير فى القلب .
كان الناظر يشعر أنها فى قلق شديد ، وان مقلها ظل ساعات
وساعات لا يدور الا حول موضوع واحد .
- كلمات كان يقولها وتمر الان بخاطري ..
- هل كان خائفا ؟

- لا ! بالعكس . فعندما كان يتصافى ان نتحدث عن القبر ؟
كان يقول ضاحكا :

« انه المكان الوحيد الذى يظمن فيه الإنسان .. مكان صغير
جميل بجوار الأب لاشيز .. »
- هل كان يمزح كثيرا ؟

- بخاصة عندما لا يكون مبتهجا .. هل تفهم ؟ .. كان لا يصعب

أن يلاحظ الناس أنه مهموم . عندئذ ، كان يبحث عن أى سبب لكن
يتحرك ، لكي يضحك . . .

– عندما كان يتحدث عن زوجته الأولى ، مثلاً

– أنه لم يحدثنى عنها مطلقاً

– ولا عن الأخرى ؟

– لا . . . كان لا يتحدث عن شخص بالذات . كان يتحدث عن
الناس عامة . . . كان يرى أنهم حيوانات صغيرة مضحكة . . . وإذا
حدث أن سلبه عامل المطعم شيئاً ، فإنه ينظر إليه بعين أكثر عطفاً من
الآخرين . . . ويقول :

– نذل ! . .

« وكان ينطق بهذه الكلمة وهو يلهو مسروراً ! »

كان الجو بارداً . طقس « توسان » . ولم يكن لدى ميجرهونين
ما يفعلانه فى حى سان – فيليب – دى رول هذا .

– الى اللقاء فى المولان بلو ، هه ؟

– ليكن !

– سأمر بك ذات مساء . . .

و شد ميجرهونين على يدها ، ثم قفز فى إحدى سيارات الأوتوبيس
لأنه كان فى حاجة للخلو الى نفسه ، والتفكير ، أو بالأحرى كان فى حاجة
لأن يترك لعقله الحبل على الغارب . وراح يتخيل الموكب الذى لن
يلبث أن يبلغ المقابر . . . ومدام كوشيه . . . والعقيد . . . والأخ . . .
والأشخاص الذين يمكن أن يناقشوا الوصية القريبة .

– ماذا كانا يحوكان حول صناديق القمامة ؟

فهنا تكمن عقدة الأساس . . . لقد حام مارتان حول صناديق
القمامة بحجة البحث عن قفاز لم يجده ، ومع ذلك كان يرتديه صباح
اليوم التالى . وفتشت مدام مارتان فى القاذورات ، هى الأخرى ،
مدعية البحث عن ملعقة من الفضة القيت عفواً .

– . . . « لأنه لم يعد بالنقود . . . »

هكذا قالت مايلد العجوز .

فعلا فى هذه اللحظة سيكون الأمر مسلما فى ميدان الفسوج !
والمجنونة التى تركت وحيدة ، ألا تعوى كعادتها ؟

وكان الأتوبيس كامل العدد ، يحرق المحطات . وسمع راكبا ،
كان قريبا من ميجرية وهو يقول لصاحبه :

- هل قرأت قصة الأوراق المالية فئة الألف الفرنك ؟

- لا ! . ما هذه الحكاية ؟

- تمنيت لو كنت هناك . . عند جسر بوجيفال . . صباح أول
أهس . . أوراق مالية فئة الألف الفرنك تتمخطر مع التيار . . كان
أول من رآها ملاح ، وقد استطاع أن يلتقط بعضها . . ولكن عامل
الهاويس لاحظ الأمر . . فاستدعى الشرطة . . حتى أن أحد رجال
الشرطة كان يرقب صيادى النقود .

- صحيح ؟ . ولم يمنعهم ذلك من الاستيلاء على بعضها . .

- وقالت الصحيفة اليومية انهم عثروا على نحو ثلاثين ورقة ،
لكنه لا بد أن هناك أوراقا أخرى كثيرة ، لأنهم استطاعوا فى «نانت»
أيضا أن يلتقطوا ورقتين . . هيه ! الأوراق المالية التى تتمخطر على
طول مجرى السين ! . . انها أعظم من السمك البورى . .

ولم يتحرك لميجرية ساكن . . كان له رأس زيادة عن الناس .
وكان وجهه هادئا .

- . . « لأنه لم يعد بالنقود . . »

اذن ، هذا هو بيت القصيد ؟ ترى هل استولى الخوف على
مارتان أو ابنه ضمير المذكورى جريمته ؟ مارتان الذى صرح بأنه كان
بتنزه فى ذلك المساء فى جزيرة سان - لوى ليترد الآمه العصبية .

ومع ذلك فقد نددت عن ميجرية ابتساما ، لأنه تخيل مدام مارتان
التريات كل شئ من نافذتها والتى كانت تنتظره .

ثم عاد زوجها ، متعبا ، خائرا . كانت تتابع افعاله وحركاته ،

وكانت تنتظر أن ترى الأوراق المالية ، وربما كانت تنتظر أن
تعدها ..

وخاع ملابسه وتهيأ للنوم .

اليست هي التي تناولت ملابسه وراحت تنقب في جيوبها ؟
وبدا القلق .. كانت تتطلع الى مارتان بإشاربيه الحزينين .

- ال .. ال .. النقود ؟

- أي نقود ؟ ..

- لمن أعطيتها ؟ . رد ا . لا تحاول ان تكذب ..

وغادر ميجرية الأتوبيس عند « البون نوف » ومن هناك استطاع
أن يلمح نوافذ مكتبه . وفي أثناء ذلك فوجيء بنفسه يقول بصوت
خافت :

- تؤكد ان مارتان ، ما ان رقد في سريره ، حتى شرع في
البكاء ! ..

« ١٠ »

اوراق تحقيق الشخصية

بدأ هذا في « جومون » . كانت الساعة تشير الى العاشرة مساء
وكان بعض مسافري الدرجة الثالثة يتوجهون ناحية مكاتب الجمرک
بينما شرع الموظفون في تفتيش عربات الدرجة الأولى والثانية .

وئمة نفر من المسافرين المدققين يعدون حقائبهم مقدما ، فيعرضون
أمتعتهم فوق المقعد الصغير . وكان هذا ما فعله رجل قلق العينين
من الدرجة الثانية ، كان يجلس في عربة لم يكن بها سواه ، الأزوجان
بلجيكيان متقدمان في السن .

كانت أمتعة هذا الرجل تمثل نموذجا للنظام والحيطة .
فالقمصان ، تلافيا للاتساخ ، كانت ملفوفة في جرائد يومية . وكان
هناك اثنا عشر زوجا من الأكمام ، وسراويل ثقيلة ، وأخرى صيفية ،
ومنيه ، وأحذية وخفان قديمان .

وكان المرء يشعر بيد امرأة ، وراء هذا الترتيب . فلم يكن
هناك موضع لم يستغل . ولم يكن هناك شيء يمكن أن يتجمع أو
ينثني . وقلب أحد موظفي الجمرک في هذه الأشياء باهمال ، وهو
يرقب الرجل الذي يرتدى المعطف المطاط والذي يملك مثل هذه
الأمثلة .

— شكرا !

وخط على الأمثلة صليبا بالطباشير .

— أي طلب ، أنتم الآخران ؟

أفسال الرجل قائلا :

- لا مؤاخذه ! . أين تبدأ بلجيكا بالضبط ؟
- هل ترى أول سياج هناك ؟ كلا ! انك لا ترى شيئا ! ولكن انظر . . . عد المصاييح . . . والثالث الى اليسار . . . هو الحد الفاصل . . .
- كان هناك صوت فى الدهليز ، يكرر امام كل باب :
- اعدوا جوازات السفر ، والبطاقات الشخصية !
- وبذل رجل المعطف المطاط مجهودا كبيرا ليعيد وضع حقائبه فى الشبكة .
- جوازك ؟
- فالتفت فرأى رجلا يضع على راسه قبعة رمادية .
- فرنسى ؟ . بطاقتك الشخصية .
- واستفرق ذلك عدة لحظات . كانت اصابع المسافر تنقب خلالها فى الحافظة .
- ها هو ذا يا سيدى !
- عظيم ! مارتان ادجار اميل . . عظيم ! . اتبعنى . . .
- الى أين ؟
- يمكنك أن تحمل حقائبك . . .
- ولكن . . . القطار . . .
- وهنا راح البلجيكيان ينظران اليه بفزع ، مضطربين رغما عن ذلك ، فقد صحبا فى سفرهما احد المزورين . . . وراح مارتان ، وقد اتسعت حدقتاه ، يرتقى المقعد ليتناول حقائبه .
- أقسم لك . . . ما الذى ؟ . . .
- أسرع . . . فسيرحل القطار . . .
- وراح الشاب ذو القبعة الرمادية يدحرج اثقل حقيبة على وصيف المحطة . كان الظلام شاملا . وعلى ضوء هالات المصاييح ، كان بعض الاشخاص يهرولون ، عائدين من المقصف . ودوى صوت الصفارة . . . وكانت هناك سيدة تتحدث مع بعض موظفى الجمرك الذين كانوا لا يسمحون لها بالرحيل .

— سنرى ذلك صباح غد .

وكان السيد مارتان يتبع الشاب وهو يحمل حقائبه بصعوبة .
انه لم يتصور فى حياته رصيفا بهذا الطول . كان حقا ميدان
سباق لا ينتهى ، خاليا ، محاطا بأبواب سرية .
وأخيرا ، دفع الباب الأخير :
— ادخل ! .

كان ظلاما دامسا . لم يكن ثمة غير مصباح فى مشكاة خضراء ،
معلق فوق الإنضدة ، وكان من الانخفاض بحيث لم يكن يضىء الا
بعض الأوراق . ومع ذلك فقد كان فى أقصى الحجرة شئ ما
يتحرك . ثم سمع هذا الصوت الودود :

— صباح الخير يا سيد مارتان ! .

ثم برز فى الظلمة شبح ضخم : انه المفتش ميجرية متدثرا فى
معطفه الثقيل ذى الياقة القطيفة ، ويداه ، فى جيبه .

— لا داعى للمضايقة . سناخذ من جديد قطار باريس الذى
سيصل بعد قليل على الخط الثالث . .

فى هذه المرة كان الأمر اكيدا ! . كان مارتان يبكى ، فى صمت ،
ويداه ثابتتان بسبب الحقائب التى أحسن ترتيبها .

كان المفتش ، الذى كان يتولى مراقبة المنزل رقم ٦١ ، بميدان
الفوج ، قد اتصل بميجريه تليفونيا ، قبل ذلك بعدة ساعات .

— صاحبنا فى طريقه للهرب . . لقد ركب سيارة اجرة واتجه
بها الى محطة الشمال . .

— دعه يهرب . . واستمر فى مراقبة المراة . .

وأخذ ميجرية نفس القطار الذى ركب به مارتان . ونزل فى
الديوان المجاور ، مع اثنين من ضباط الصف ، ظلا طوال الطريق
يقصان المفامرات الفرامية .

ومن آن لآخر كان المفتش يلصق عينه بالفتحة التى تفصل بين
الديوانين فيلمح مارتان حينئذ .

وقى « جومون » كانت حادثة البطاقة الشخصية ! . والدخول
فى مكتب المفتش المختص .

والآن هما ذان يعودان الى باريس ، فى ديوان خاص . كانت
يدا مارتان خاليتين من القيود . وكانت حقائبه فى الشبكة فوق
رأسه ، وكانت احدهما غير محكمة الوضع ، فكانت تهدد بالسقوط
فوقه .

وحتى « موبوج » لم يكن ميجرية قد وجه سؤالاً واحداً .
كان امرا يختلط له العقل ! . كان قابعا فى أحد الاركان ،
وغليونه بين أسنانه .

وكان لا يكف عن التدخين وهو يرقب صاحبه بعينه الصغيرتين
اللاهيتين .

عشر مرات ، بل عشرون مرة ، فتح مارتان فمه دون أن يقر
الكلام ، وعشر مرات بل عشرون مرة ، لم يتنبه له المفتش .
ومع ذلك فقد حدث هذا أخيراً : صوت لا يمكن وصفه ، وقد
لاستطيع مدام مارتان نفسها أن تتعرف عليه .

- أنا الذى ...

وكان ميجرية لا يزال معرضاً عن الكلام ، كانت حدقتاه
تقولان :

- صحيح ؟ ..

- كنت .. كنت أمل أن اجتاز الحدود ..

هناك طريقة للتدخين بنقبض لها من ينظر الى الشخص الذى
يدخن : ففي كل نفخة تتفرج الشفتان فى تلذذ .. ولا يندفع
الدخان الى الامام ، ولكنه يتبدد فى بطن ، مكوناً سحابة حول
المدخن .

كان ميجرية يدخن بهذه الطريقة ورأسه يتمايل ذات اليمين
وذاً الشمال تبعاً لحركات العربية .

ومال مارتان ، ويداه البائستان فى القفاز ، وعيابه نعيمان
بالحمى .

- هل تعتقد أن هذا سيستغرق طويلا ؟ كلا ، أليس كذلك ؟
مادمت سأعترف .. لأننى سأعترف بكل شيء ..

ماذا كان يفعل حتى لا يبكى ؟ لا بد أن أعصابه كانت تذيبه الماء
هزيرا . ومن آن لآخر كانت عيناه تبسودان متوسلتين ، تقولان
للجبريه بكل وضوح :

- ساعدنى اذن .. انك ترى أن الارهاق قد بلغ منى ماربته ..
ولكن المفتش كان لا يتحرك .. وكان ، بهدوئه ، ونظرته
الفضولية التى تخلو من كل عاطفة ، كأنه يقف فى حديقة
للحيوانات ، أمام قفص بداخله حيوان غريب ..

- لقد فاجانى كوشيه .. عندئذ ..
وتنهذ ميجريه ، تنهيدة لا تريد أن تعبر عن شيء ، أو بالأحرى
يمكن أن تفسر بمائة طريقة مختلفة ..

« سان - كانتان » ! وسمعت خطوات أقسام فى الممر ،
وحاول مسافر ضخيم أن يفتح باب الديوان ، فلاحظ أنه مفلق ،
أقبلت لحظة ينظر الى الداخل ، وأنفه ملتصق بالزجاج ، وأخيرا
أقرر أن يبحث عن مكان آخر ..

- مادمت سأعترف بكل شيء ، أليس كذلك ؟ لاداعى للانكار !
تماما كما لو كان يتحدث الى شخص أصم ، أو الى شخص
لا يفقه حرفا واحدا من الفرنسية ، كان ميجريه يحشو غليونه ،
ويدس فيه التبغ بسببته بطريقة دقيقة !
- هل معك ثقاب ؟

- لا ! انا لا ادخن ، كما تعرف ، ان زوجتى هى التى لا تحب
رائحة التبغ ، أحب ان ينتهى الأمر بسرعة ، هل تفهم ؟ سأقول
ذلك للمحامى الذى سأختاره ، لاداعى للتعقيدات ! سأعترف بكل
أشياء . لقد قرأت فى الصحيفة اليومية أنهم عثروا على جزء من
الأوراق المسالية ، اننى لا أعرف لماذا فعلت ذلك ، فعندما كنت
أشعر بها فى جيبى ، كان يلوح لى أن كل من فى الطريق ينظرون
الى .. ففكرت أولا أن أخفيها فى مكان ما .. ولكن لماذا أفعل
ذلك ؟ ..

« سرت بحذاء الرصيف .. كانت هناك بعض الزوارق .. »
فخشيت أن يرانى أحد البحارين .
« عندئذ عبرت جسر مارى . وفى جزيرة « سان - لوى »
استطعت أن اتخلص من الحزمة ... »

كان الديوان ساخنا للغاية ، كان البخار يسيل فوق الزجاج .
وكان دخان الغليون يتمدد حول المصباح .

« كان يجب أن أعترف لك بكل شيء فى المرة الأولى التى
رأيتك فيها .. لم تكن لدى الشجاعة .. وكنت أمل أن ... »
وصمت مارتان ، وتطلع بفضول الى صاحبه الذى كان قد
ففر فاه وأغمض عينيه ، وراح يتنفس بصوت رتيب أشبه بمواء
قط كبير مفتبط .

كان ميجرية نائما !

وألقى الآخر نظرة على الباب ، الذى يكفى أن يدفعه ، وكما
لو كان أراد أن يهرب من الفواية ، انزوى فى احد الأركان وهو
يضم فخذه ، ويداه الجزعتان فوق ركبتيه النحيفتين .

محطة الشمال . صباح يوم رمادى . وسكان الضاحية ،
الذين استيقظوا متأخرين ، يعبرون الأبواب فى جماعة .

كان القطار قد توقف بعيدا عن بهو المحطة . كانت الحقائب
ثقيلة . وكان مارتان لا يريد أن يتوقف . كان منهك القوى وكانت
يداه تؤلمانه .

واضطرا للانتظار طويلا حتى تمر احدى سيارات الأجرة .
- هل انت ذاهب بى الى السجن ؟

لقد امضيا خمس ساعات فى القطار لم ينطق ميجرية خلالها
عشر جمل . بل ادهى من ذلك ! فقد كانت جملا لا علاقة لها
بالجريمة ، ولا بالثلاثمائة وستين الف فرنك ! . كان يتحدث عن
غليونه ، أو عن حرارة الجو ، أو عن موعد الوصول .

- ٦١ ميدان الفوج !

قالها ميجرية للسائق .

فقال مارتان متوسلا :

- اتعتقد انه من الضروري أن ..

ثم ، قال لنفسه -

« ماذا سيظنون في الـكتب ؟ ، لم يكن لدى وقت لإبلاغهم »

كانت الحارسة في مسكنها ، تفرز البريد : كومة كبيرة من الخطابات لمعامل أمصال الدكتور ريفير ، وكومة صغيرة لبقية سكان المنزل .

- سيدي مارتان ! . سيدي مارتان ! . لقد حضر بعضهم من مكتب التسجيل ليسأل عما اذا كنت مريضا . . فيبدو أن معك مفتاح الـ . . .

كان ميجره يسحب صاحبه الذي اضطر الى جر حقائبه الثقيلة على السلم حيث كانت توجد أمام الأبواب بعض آنية بها لبن وخبز طازج .

وتحرك باب «ماتيلد» العجوز .

- اعطني المفتاح .

- ولسكن . . .

- افتح أنت بنفسك .

وحل صمت عميق ، قطعه صرير لسان القفل ، ثم بدت بحجرة الطعام منظمة ، وكل شيء في مكانه بالضبط . وتردد مارتان طويلا قبل أن ينطق بصوت خافت يقول :
- هذا أنا ! . . . والمفتش . . .

وتحرك شخص في السرير الموجود في الحجرة المجاورة . وما أن أغلق مارتان الباب ، حتى تأوه قائلا :

- ما كان يجب علينا أن . . . انها ليس لها دخل في ذلك »

اليس كذلك ؟ . . . وفي حالتها هذه . . .

كان لا يجرؤ على دخول الحجرة . راح يلتقط الحقائب ويضعها فوق كرسيين لكي يحافظ على اتزانه .
هل تحب أن أصنع قهوة ؟

وطرق ميجره باب حجرة النوم •

- .. ممكن ادخل ؟

ولم يتلق ردا ، فدفع الباب ، فتلقى فى صميم وجهه نظرة ثابتة
من عيني مدام مارتان التى كانت راقدة ، بلا حراك ، وشعرها فى
« الفرشينات » •

- آسف زعاجك ... لقد أعدت اليك زوجك •

كان مارتان ماثلا خلفه • كان يحس به ، ولكنه لا يستطيع أن
يراه •

وسمع وقع أقدام فى الفناء ، وأصواتا ، وبخاصة أصوات
نساء : انهم موظفو المكاتب والمعامل الذين كانوا يصلون • كانت
الساعة تشير الى التاسعة الا دقيقة •

وعن قرب ، سمعت صرخة مكتومة للمجنونة • وعلى منضدة
السريير ، كان ثمة بعض الأدوية •

- هل ستأت حالك ؟

كان يدرك تماما أنها لن تجيب ، وأنها ستتشبث على الرغم من
كل شئ بتحفظها الشرس • كان يبدو أنها تخشى أن تنطق بكلمة ،
بكلمة واحدة ! وكان الكلمة الواحدة يمكن أن تجلب المصائب !

كانت قد هزلت • وغدا لونها أكثر شحوبا • غير أن عينيها ..
هاتين الحدقتين الرماديتين ، كانتا تحتفظان بحياتهما الخاصة ،
المتوهجة ، العنيدة •

ودخل مارتان ، بساقين خائرتين • وكانت هيئته كلها تدل على
أنه يعتذر ، ويطلب المغفرة •

وراحت العينان الرماديتان تتحولان ناحيته فى بطاء ، جامدتين •
قاسيتين ، حتى أنه أشاح بوجهه وهو يقول متلعثما :

- فى محطة « جومون » ... دقيقة واحدة وكنت سأبلغ

بلجيكا ...

كان لأبد من كلمات ، وجمل ، وضوضاء لشغل كل هذا الفراغ
الذى كان يبدو أنه يحيط بكل شخصية • فراغ كان ملموسا للدرجة
أن الأصوات كانت ترجع الصدى ، وكأننا تحت نفق أو فى مفارة •

ولكنهم كانوا لا يتكلمون . كانوا فقط يتشدقون ببعض المقاطع ،
بعيون قلقة ، ثم يخيم الصمت كما يطبق الضباب .

ومع ذلك فقد كان هناك شيء ما يجرى ، شيء بطيء ، خفى ،
يد تزحف تحت الفطاء ، وترتفع فى حركة غير ملموسة حتى تبلغ
الوسادة .

كانت هذه يد مدام مارتان ، النحيلة ، المبللة . وكان ميجريه ،
وهو ينظر الى مكان آخر ، يتابع تقدم اليد ، وينتظر اللحظة التى
تصل فيها الى غايتها .

– ألن يأتى الطبيب هذا المساء ؟

– لست أدري . . وهل هناك من يهتم بى ؟ . اننى هنا كحيوان
يتركونه للموت . . ولكن العين غدت اكثر بريقا لأن اليد ليست أخيراً
ما كانت تبغى .

وسمع حفيف ورقة لا يكاد يبلغ الأذان .

وتقدم ميجريه خطوة ، وأمسك مدام مارتان من معصمها . .
كانت تبدو بلا قوة ، وربما بلا حياة . ولم يمنع ذلك انها بين لحظة
وأخرى كانت تبرهن عن قوة خارقة . .

كانت لا تريد أن تترك ما بيدها . وكانت تدافع بفيظ ، وهى
جالسة فوق السرير . وراحت تقرب يدها من فمها . وتمزقاً
بأسنانها الورقة البيضاء التى كانت تضغط عليها .

– دعنى ! . دعنى والا صرخت ! . وأنت ؟ . اتركه يفعل
ذلك ؟ .

– سيدى المفتش . . اتوسل اليك . .

تأوه بها مارتان .

كان يصغى . . فقد كان يخشى أن يأتى السكان مهرولين . .
ولم يكن يجرؤ على التدخل .

– أيها الوحش ! . أيها الوحش القذر ! . تضرب امرأة ؟ .

كلا ! . لم يكن ميجريه يضربها . كان مكتفياً بامسك يدها ،
وربما مع ضغط على راسها بشيء من القوة ، لئلا يمنعها من ابادة
الورقة .

— الا تخجل ا . تضرب امرأة تحتضر . . .
امرأة كانت تبذل مجهودا قلما صادف مثله ميجرية خلال فترة
لخدمته كضابط ا . وسقطت قبعته على السرير . لقد عضت المفتش
في راسه فجأة .

ولكنها لم تستطع أن تستمر مشدودة الأعصاب طويلا ، ونجح
ميجرية في ابعاد أصابعها ، بينما راحت هي تطلق انه ألم .
والآن ها هي ذى تبكى ، تبكى دون أن تبكى ، أتبكى سخطا ،
أو غيظا أو ربما لكى تتخذ موقفا ؟ .
— وأنت ، تتركه يفعل ذلك . .

كان ظهر ميجرية عريضا جدا بالنسبة للحجرة الضيقة . كان
يلوح انه يملأ الفراغ كله ، ويحجب الضوء .
واقترب من المدفأة ، ونشر الورقة التي زالت أجزاء من
اطرافها ، وقرأ نصا مكتوبا بالآلة الكاتبة ، تعلوه هذه العبارة :
« لافال وبيوليه

من محامى باريس
مستشاران
مكتب قضائى »

والى اليمين ، باللون الأحمر ، كانت هذه العبارة : « قضية
كوشيه ومارتان . استشارة بتاريخ ١٨ نوفمبر » .
صفحتان مقتضبتان ، مع مسافات بين الأسطر . لم يقرأ
ميجرية منها الا أجزاء ، بصوت خافت ، وكانت أصوات الآلات
الكاتبة تأتي من مكاتب أمصال ريفير .
« بعد الاطلاع على القانون . . .

ونظرا لأن انتحار زوجته كوشيه كان لاحقا لمقتل أبيه . .
. . وأن وصية لا يمكن أن تهضم ابنا شرعيا نصيبه الذى
هو من حقه . .

. . وأن الزواج الثانى لصاحب الوصية من السيد «دورموى»
اقد تم فى عهد روكية الاموال . .
. . وأن الوارث الطبيعى لزوجيه كوشيه هو والدته . .

.. نتشرف بأن تؤكد لكم أن من حقكم المطالبة بنصف الثروة
التي تركها أوسكار كوشيه من منقولات وعقارات .. وأنه ، طبقا
لمعلوماتنا الشخصية ، فنحن نرى ، ما عدا الخطأ ، أن المصنع
المعروف باسم الدكتور « رفير » ، يقدر بحوالى خمسة ملايين ،
وكان قبلا يقدر بثلاثة ملايين ..

...

« .. ونحن فى خدمتكم للقيام بجميع الاجراءات اللازمة لابطال
الوصية .. »

...

تؤكد لكم اننا نحتفظ لانفسنا بالحق فى عمالة تقدر بعشرة
فى المائة (١٠ ٪) من المبالغ المستردة وذلك كمصاريف ل .. »

كانت مدام مارتان قد كفت عن البكاء ، وكانت قد عادت الى
رقادها ، وراحت نظرتها الجامدة تتطلع الى السقف من جديد .
كان مارتان يقف فى اطار الباب وهو أشد ما يكون حيرة ،
لا يدري ماذا يصنع بيديه ، وعينيه ، وجسده جميعا .
ودمدم ميجرية لنفسه قائلا :
- هناك حاشية ! .

وكانت هذه الحاشية مسبوقه بهذه العبارة : « سرى للغاية »
« نحن نعتقد أن مدام كوشيه ، من عائلة دورموى » ، مستعدة ،
هى الأخرى ، للتظمن فى الوصية .
ومن جهة أخرى ، قمنا بالاستعلام عن المستفيدة الثالثة ،
وهى نين مونار .
انها امرأة متشككة ، ولم تتخذ بعد أى اجراء للمطالبة
بحقوقها .

ونظرا لانها الآن بلا مورد ، فقد بدا لنا ان أجدى طريقة هى
ان نعرض عليها أى مبلغ على سبيل التعويض .
ونحن من جانبنا نقدر هذا المبلغ بعشرين ألف فرنك ، وهو
مبلغ من شأنه أن يغرى شخصا فى مثل حالة نين مونار .

ونحن فى انتظار قراركم بشأن هذا الموضوع . . . » .
كان ميجرىه قد ترك غليونه ينطفئ . ثم طوى الورقة ببطء ،
ودسها فى حافظته . ومن حوله كان يخيم صوت مطبق . وساءت
حال مارتان حتى أنه حبس أنفاسه . وكانت زوجته ، على السرير ،
ينظرها الثابتة ، تبدو كالبينة .

ودمدم ميجرىه يقول :

– مليونان وخمسمائة ألف فرنك . . مع خصم مبلغ الخمسة
والعشرين ألف فرنك التى ستأخذها نين لكى تتساهل . . صحيح
أن مدام كوشيه ستدفع نصفه . .

كان متأكدا أن ابتسامة ظفر غائمة ، ولكن بليغة ، ترسم على
شفتى المرأة .

– ياله من مبلغ ! . يا مارتان . .

فانتفض مارتان ، وحاول أن يتخذ موقفا دفاعيا .

– كم ستأخذ فى ظنك ؟ . أنا لا أتحدث عن المال . . وإنما
أتحدث عن الحكم . . سرقة . وقتل . وربما ثبت سبق الإصرار . .
ما رأيك ؟ . لا أمل فى البراءة بكل تأكيد ، مدام الموضوع لا يتعلق
بجريمة عاطفية . . آه ! . فقط لو كانت امرأتك قد أقامت علاقات
مع زوجها القديم . . ولكن الأمر يختلف . أنه موضوع مال ، ولا شىء
غير المال . . عشر سنوات ؟ . عشرين سنة ؟ . هل تريد رأى ؟ .
لاحظ أننا لا نستطيع أبدا أن نخمن قرار القضاة الشعبيين . .

وهذا لا يمنع من وجود سوابق . . إيه عظيم ! . أننا بوجه عام
يمكن أن نقول أنهم إذا كانوا يتسامحون فى مآسى الغرام ، فإنهم
قساة للغاية فى هذه القضايا القائمة على المنفعة . .

كان المرء يظن أنه يتكلم لكى يتكلم ، لكى يكسب وقتا .

– شىء مفهوم ! . فهم برجوازيون ، تجار . . يعتقدون أنه ليس
هناك ما يمكن أن يخشوه على عشيقاتهم لا يملكونهن أو واثقون منهن .
ولكنهم يخشون اللصوص كثيرا ! . عشرين سنة ؟ . إيه حسن ! .
كلا ! . اننى أميل الى الشنق .

لم يعد مارتان يتحرك . وبمقارنة بينه وبين زوجته ، كان هو
الآن أكثر دكانة .

— ولكن مدام مارتان ستصبح ثرية . . انها فى السن التى
تعرف فيها كيف تتمتع بالحياة وبالثروة . .
واقترب من النافذة .

— ان لم تكن هذه النافذة . . انها حجر العشرة . . فلن
يلبثوا ان يلاحظوا ان المرء من هنا يستطيع ان يرى كل شىء . . كل
شىء . هل تسمعى ؟ . . وهذا خطر ! . . لان ذلك قد يثير فكرة
الاشتراك فى الجريمة . . عندئذ ، يوجد فى القانون نص صغير
يمنع القاتل ، حتى ولو كان مبرأ ، من وراثة الضحية . . ليس
فقط القاتل . . وانما شركاؤه أيضا . . انك ترى أهمية وجود هذه
النافذة . لم يعد الصمت هو ما يحيط به . كان شيئاً آخر أكثر
اطباقاً ، وأكثر اقلاقاً ، يكاد يكون غير حقيقى : انعدام تام لآى أثر
للحياة .

وفجأه وجه سؤالا :

— قل لى يا مارتان ، ماذا صنعت بالمسدس ؟

وسمعت فى المر انتفاضة حياة : كانت « ماتيلد » العجوز طبعاً
بوجهها القمري ، وبطنها الطرى ، تحت المئزر ذى المربعات .

وأتى صوت الحارسة الحاد من الفناء يقول :

— مدام مارتان ! . . هذا دوفاييل ! .

وجلس ميجرية فى كرسى اهتز تحته ، ولكنه لم يتحطم فى
الحال .

الرسم المنقوش على الحائط

- أجب!.. ماذا فعلت بالمسدس؟
وتابع نظرة مارتان ، ووجد أن زوجته التي كانت تصوب نظرها
الى السقف ، تحرك أصابها على الحائط .
كان مارتان المسكين يبذل مجهودا خارقا لكي يفهم ما كانت تريد
ان تقول له . كان متلهفا . فقد كان ميجريه ينتظر الاجابة .
- لقد ..
ماذا يعنى هذا المربع ، او هذا المنحرف الذى تخططه بأصبعها
النحيل؟
- ماذا؟
وهنا أشفق عليه ميجريه حقا . لاشك أن اللحظة كانت مفزعة .
لقد كان مارتان يختلج من الجزع .
- القيته فى « السين » ..
قضى الامر ! وبينما كان المفتش يخرج المسدس من جيبه ،
وينضعه فوق المنضدة ، كانت مدام مارتان تنتصب فوق السرير ،
بوجه يقطر حنقا . فقال ميجريه :
- لقد بحثت حتى عثرت عليه فى صندوق القمامة ..
ثم خرج صوت المرأة المحمومة كالفحيح يقول :
- آه ! .. هل فهمت الآن ؟ .. مبسوط ؟ .. لقد
أضعت الفرصة ، مرة أخرى ، كما هى عادتك دائما ! .. ! ولقد
فعلت ذلك خصيصا ، خوفا من دخول السجن .. ولكنك ستدخله

وعما عن ذلك ! .. لأن السرقة ، أنت التي ارتكبتها ! .. الثلاثمائة
والستون ألف ورقة التي القاهها الأستاذ في نهر السين ...
كانت مرعبة . وكان الناظر يدرك أنها كانت قد تمالك نفسها
أكثر من اللازم .. كان اندفاعها عنيفا . وكان هياجها من الهوس
بحيث أن كلمات عديدة كانت تمثل أحيانا على شفيتها في نفس
اللحظة ، وكانت تخلط بين الألفاظ ..

كان مارتان مطرقا براسه . لقد أنتهى دوره . وكما وبختسه
قوجته فقد اخفق بطريقة تبعث على الرثاء .

- ... لقد قرر الأستاذ أن يسرق ، ولكنه تسي قفازه فوق
المكتب ... ان مظالم مدام مارتان كلها راحت تنهال ، دون
تنظيم .

وسمع ميجرية خلفه صوت الرجل الدليل صاحب المعطف
المطاط يقول :

- منذ شهر وهي تشير لى الى المكتب من النفاذة ، والى
كوشيه الذى اعتاد الذهاب الى الاحواض ...

... وكانت تلومنى لاننى أنقص عليها حياتها ، ولا أستطيع ان
اعول امرأة ... فذهبت ...

- هل اخبرتها بأنك ذاهب ؟

- لا : . ولكنها كانت تعلم .. فقد كان تنظر من النافذة ..

- ومن بعيد ، رأيت القفاز الذى نسسيه زوجك ، يا مدام
مارتان ؟

- وكأنه يترك بطاقة زيارة ، علما بأنه كان يريد ان يفيظنى ...

- فأخذت مسدسك وذهبت الى هناك ... ورجع كوشيه ،
بينما أنت لا تزالين فى المكتب ... فاعتقد أنك أنت السارقة ...

- وأراد ان يقبض على ، أجل ! هذا هو ما أراد ان يفعله ؛
وكانه لم يصبح غنيا بفضلى أنا ! ... فمن الذى كان يقوم على
خدمته ، فى البداية ، عندما كان لا يجنى من المال ما يقيم أوده من
خبز بلازبد ؟ ... والرجال جميعا متشابهن ! ... لقد بلغ

به الأمر الى حد لومى على السكنى فى المنزل الذى توجد به مكاتبه . . . واتهمنى بمقاسمة ابنى للمال الذى كان يعطيه اياه . . .
- وأطلقت الرصاص ؟

- كان قد رفع سماعة التليفون ليستدعى الشرطة ؟
- وتوجهت ناحية صناديق القمامة . وبحجة البحث عن ملعقة صغيرة دبست المسدس وسط القاذورات . . . من الذى قابلته عندئذ ؟ . . .

فقلت وكأنها تبصق :

- العجوز الأبله ، ساكن الطابق الأول . . .
- ولا أحد غيره ؟ أعتقد أن ابنك أتى . . . فلم يكن لديه نقود . . .
- وبعد ذلك ؟ . . .

- لم يكن قد أتى من أجلك أنت ، وإنما من أجل أبيه ، أليس كذلك ؟ كل ما هناك أنك لم تستطيعى أن تتركه يذهب حتى المكتب ، حيث كان من الممكن أن يكتشف الجثة . . . كنتما فى الفناء، أنتما معا . . . فماذا قلت لزوجيه ؟

- أن ينصرف . . . انك لا تستطيع أن تفهم قلب الأم . . .
- فانصرف . . . وعاد زوجك . . . ولم يحاول أحدكما سؤال الآخر ، مضبوط . . .

كان مارتان يفكر فى الأوراق المالية التى انتهى به الأمر الى القائها فى « السين » لأنه فى الواقع رجل طيب مسكين .
- رجل طيب مسكين ! كررتها مدام مارتان بحنق غير منتظر .
ها ! ها ! وانا ؟ . . . أنا التى طالما شقيت . . .

- ولم يعرف مارتان من الذى قام بالقتل . . . ونام . . . ومضى يوم دون أن تتحدثا عن شيء . . . ولكنك فى الليلة التالية ، نهضت لكى تفتشى الملابس التى خلعتها . . . وبحثت عن الأوراق دون جدوى . . . وكان هو ينظر اليك ، فسألته . . . وهنا تكمن أزمة الحنق التى سمعتها « ماتيلد » العجوز من وراء الباب . . . قد أقتلت بلا فائدة ! . . . فقد ألقى مارتان الأبله بالنقود ! . . . بشروء فى

«السين» ، افتقارا الى الشجاعة!... ومرضت بسبب ذلك...
فقد أصابتك الحمى... وذهب مارتان نفسه ، الذي كان يجهل
انك القتالة ، ليعلم روجيه بالخبر...

وفهم روجيه... فقد رآك في الفناء... ومنعته أنت من
التقدم... انه يعرفك... وأعتقد أنني أرتاب فيه... وتصور
أنا سنلقى القبض عليه ، ونوجه اليه التهمة... وهو لا يستطيع
أن يدافع عن نفسه دون أن يتهم أمه...

وهو قد لا يكون شابا لطيفا... ولكننا قد نجد في الحياة
التي كان يعيشها بعض العذر... لقد أصابه القرف.. القرف من
النساء اللاتي كان ينام لديهن ، ومن العقاقير ، ومن «مونمارتر»
حيث كان يذهب ، وفوق ذلك كله ، القرف من مأساة العائلة التي
كان يدرك وحده ما يمكن أن تؤدي اليه...
فألقي بنفسه من النافذة!

كان مارتان قد استند الى الحائط ، ووجهه بين يديه المشنيتين ،
ولكن امراته كانت تنظر الى المفتش بامعان ، وكأنها لا تنتظر الا
اللحظة التي تتدخل عندها في سرد الأحداث وتهاجم بدورها .

وعندئذ عرض ميجرية الاستشارة التي حررها المحاميان .
- وفي زيارتي الأخيرة ، كان الحوف يسيطر على مارتان حتى
انه كان سيعترف بسرقة... ولكنك كنت موجودة... وكان يلمحك
من فرجة الباب... كنت توجهين اليه اشارات قوية فلزم الصمت...
- أليس ذلك ما فتح عينيه أخيرا ؟ لقد سألك... فأجبت
بأنك قتلت .

وصرخت بها في وجهه ! قتلت من أجله ، من أجل تدارك
نسيانه ، من أجل ذلك القفاز الذي تركه فوق المكتب!... ولأنك
قتلت ، فانك لن ترثي شيئا على الرغم من الوصية!... آه !
لو كان مارتان رجلا...

- فليرحل الى الخارج... وسيؤمنون بادانته... تم بهدا
الشرطة ، وبعد ذلك تلحقين به مع الملايين...
- ورحل مارتان المسكين!...

وكاد ميجرية يحطم الرجل الطيب بضربة هائلة فوق كتفه •
كان يتكلم بصوت لا رنين له • كانت كلماته تتساقط دونما
الحاح منه •

- ما أكثر ما حدث من أجل هذه النقود ! •• قتل كوشيه ••
وانتحرار روجيه بالقاء نفسه من النافذة •• وفي آخر دقيقة ندرنا
أننا لن نحصل عليها ! ••

وفضلت أن تعدي مرئفسك حقائب مارتان •• حقائب مرتية
ترتيا حسنا •• ملابس لعدة شهور ••

- أسكت !

قالها مارتان متوسلا •

وصرخت المجنونة • ففتح ميجرية الباب على حين فجأة ، فكادت
مابيلد العجوز تنكفيء على وجهها •

ففرت هاربة ، فزعة من صوت المفتش ، ولأول مرة راحت تغلق
بابها حقا وتدير المفتاح في المتراس •

والقى ميجرية بنظرة أخيرة على الحجر • كان مارتان لا يجرؤ
على الحركة • وزوجته فوق السرير ، هزيلة ، وقد برزت عظام
كتفيها تحت قميص النوم ، تتابع بعينيها رجل الشرطة •

كانت رزينة ، ساكنة حتى ليتهازل الناظر اليها بعين قلقة
عما تعد •

وتذكر ميجرية بعض النظرات في أثناء الأشهد السابق ، وبعض
حركات الشفاه • واستحضر ما جرى ، في نفس الوقت الذي فعلا
فيه مارتان ذلك •

لم يكن في استطاعتها التدخل • فقد حدث هذا خارجا عن
ارادتهما ، كحلهم مزعج •

كانت مدام مارتان هزيلة ، هزيلة • وغدت ملامحها أبعث على
الحزن عن ذي قبل •

ترى ما الذي تتطلع اليه ، في أماكن ليس بها الا الأشياء المألوفة
في الحجر ؟

ما هذا الذي تتابعه باهتمام في الحجر ؟

كان جبينها يتغضن • وكان صدغها يختلجان •

فصاح مارتان :

- انى خائف !

لم يتغير شيء فى المسكن • ودخلت عربة صغيرة فى الفناء وسمع صوت الحارسة الحاد •

ان الناظر الى مدام مارتان ليظن أنها تبذل بمفردها مجهودا جبارا ، لكى تجتاز جبلا لا يمكن الوصول اليه • ومرتان ، رسمت يدها حركة من يبعد شيئا عن وجهه •

وأخيرا ازدردت ريقها ، وابتسمت ابتسامة شخص يبلغ بغيته :
- ومع ذلك فستأتون جميعا لتسألونى بعض النقود ••
سأطلب الى موثق عقودى ألا يعطيكم شيئا ••

واختلج مارتان من قدميه حتى رأسه • فقد أدرك أن هذا ليس هديانا عابرا ، نتج عن الحمى •
لقد فقدت صوابها نهائيا !

- لا يمكن أن يحقد أحد عليها • فهى لم تكن أبدا كسواها تماما ،
أليس كذلك ؟

قالها مارتان بأسى :

كان ينتظر تأكيد ميجرية •

- مسكين يا مارتان ••

كان مارتان يبكى ! وكان يمسك يد زوجته ويحكها فى وجهه ، وكانت هى تدفعه عنها • وكانت على شفقتها ابتسامة متعالية محتقرة •

- لا أكثر من خمسة فرنكات مرة واحدة •• لقد قاسيت بما فيه الكفاية ، أنا ، من •••

فقال ميجرية :

- سأصل « بسانت - آن » ••

- هل تعتقد ؟•• هل من الضرورى احتجازها ؟••

أهى قوة العادة ؟ لقد ابتأس مارتان لفكرة مغادرة مسكنه • هذا الجو من التأنيب والإعراك اليوميين ، وهذه الحياة القسرة •

وهذه المرأة التي تحاول ، للمرة الأخيرة ، أن تفكر ، لكنها تقنط
وتغلب على أمرها ، فترقد وعلى شفيتها ابتسامة عريضة وهي تهذى :
- احضروا لى المفتاح . .

وبعد لحظات كان ميجرية يجتاز زحام الشارع ، كرجل غريب •
والأمر الذى كان يحدث له نادرا ، أنه شعر بصداع فظيع ، فدخل
صيدلية ليبتلع قرصا من الاسبرين •

كان لا يرى حوله شيئا • وكانت ضوضاء المدينة تختلط
بضوضاء أخرى ، بأصوات بشرية على وجه الخصوص ، كانت لا تزال
تدوى فى نافوخه •

كانت هناك صورة متسلطة عليه أكثر من غيرها من الصور •
صورة مدام مارتان ، وهي تنهض ، وتلتقط ملابس زوجها من الأرض
وتبحث فيها عن النقود ! ومارتان ينظر اليها من سريره •
والمرأة توجه اليه نظرة مستفسرة فيقول :

- لقد أقيتها فى السين . .

ومنذ ذلك الحين وهذا الصداع قائم فى رأسها • أو بالأحرى
هذا الخلل ! عندما كانت تعيش فى محل حلوانى « سان - مو » •
كل ما هناك أن هذا لم يكن يبدو للعيان • فقد كانت فتاة أقرب
الى الجمال • ولم يكن أحد ليهتم بشفتيها المفرطتين فى الدقة ••
وتزوجها كوشيه !

- ماذا سأصبح لو وقع لك سوء ؟

واضطر ميجرية للانتظار ، لكى يعبر شارع بومارشيه • ودونما
سبب راح يفكر فى « نين » •

- لن تحصل على شيء ! • ولا درهم - هكذا دمدم ميجرية
بصوت خفيض - فستبطل الوصية • ومدام كوشيه الثانية
هى التى ••

ولا بد أن العقيد بدأ اجراءاته • كان هذا أمرا طبيعيا • وقد
تحصل مدام كوشيه على كل شيء ! على كل الملايين ••
انها سيدة مرموقة ، تعرف كيف تحافظ على كرامتها ••

وصعد ميجرية في السلم في بظءة ودفع باب شقته بإشارع
« ريتشارد لونوار » .

- فمن من الذى وصل ؟

كانت مدام ميجرية تضع فوق غطاء المائدة الأبيض أربعة أطقم •
ولمح ميجرية فوق « البوفيه » ابريقا من « القراصية » •

- أختك ؟

لم يكن تخمين ذلك بالأمر العسير ، ما دامت فى كل مرة تأتي
فيها من « الزاس » ، كانت تحضر معها ابريقا من الكحول وفواكه
وفخذ خنزير مقددا •

- لقد خرجت لتقوم ببعض الجولات مع أندريه ••

زوجها ! شاب طيب يدير مصنعا للطوب •

- يبدو عليك الارهاق •• أتعشم ألا تخرج اليوم اطلاقا •

على الأقل ؟

ولم يخرج ميجرية • وفى التاسعة مساء ، كان يلعب مع أخت
زوجته وزوجها لعبة القزم الأصفر • وكانت « القراصية » تعبق
جو حجرة الطعام •

وكانت مدام ميجرية تنطلق ضاحكة بين لحظة وأخرى لأنها لم
تتوصل بعد الى معرفة أوراق اللعب فكانت تأتي كل ما يتصوره
العقل من حماقات •

- هل أنت متأكدة أنه ليس معك تسعة ؟

- أجل ، معى ••

- اذن ، فلماذا لا تلعبين ؟

كان هذا كله بالنسبة لميجرية ، يمثل حماما ساخنا • قلم بعدة
يشعر بالصداع • لم يعد يفكر فى مدام مارتان ، التى حملتها احدى
عربات الاسعاف فى طريقها الى « سانت - آن » ، بينما كان زوجها
ينتحب وحيدا على السلم الحالى •

((تمت))

الإدارة القومية للطباعة والنشر

مركز الملك معاذ الثقافي

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنها

الكتاب الذي

مذهب ومبدأ من الشرق والغرب كتب سامية

كتاب عربية
اخترا اللغوي
دراسات أثرية
رسائل جامعية

مكتبات الأمانة

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

الخرطوم

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الأبحاث والتفكير

مجلة بنار الوطن

ARAB OBSERVER

ARABE OBSERVATEUR

THE ARAB REVIEW

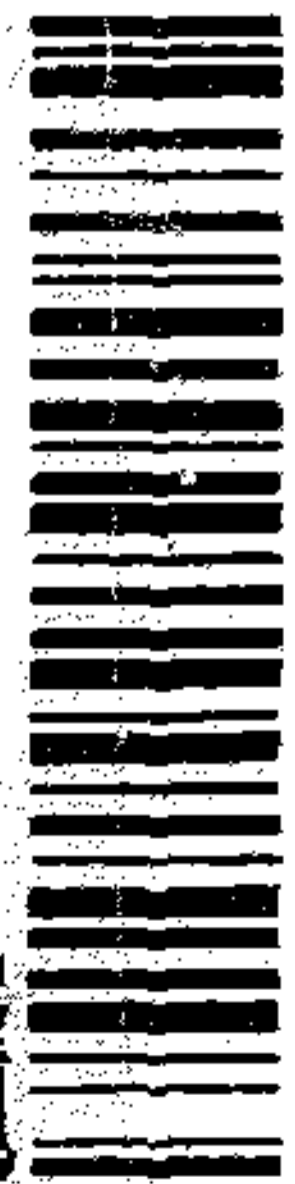
Le Scribe REVUE ARABE

El Esciba REVISTA ARABE

Der Schreiber ARABISCHER BEWERTUNG

kh

Bibliotheca Alexandrina



0540432